13 me Année No. 618

Lundi - 7 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦١٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٧ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

نهـــاية دكتاتورين !

عَمْرَكَ اللهَ ، أهى نهاية دكتاتورين ، أم نهاية دولتين ، وعبودية أمتين ، وعبرة الدهر لمن يسول له الحمق الآدمى أن يطاول الله فى سمائه ، ويصرّف الأقدار فى أرضه ؟ !

سبحانك ربنا ما أبلغ حكمتك وأعدل حكمك ! كأنما يقضى عدلك المطلق بين آدم وإبليس فى صراع الخير والشر أن ترسل من الجحيم رسلا للفساد ، كنيرون وجنكيز وهتلر ، كما أرسلت من الجنة رسلا للصلاح ، كموسى وعيسى ومحمد ! وإلا فكيف يتصور عقلنا المحدود أن رجلا كسائر الرجال ، فيه الخطل والجهل والعجز والهوى ، وليس فيه إيمان لوثر ، ولا سياسة بِسْمَرك ، ولا أدب جوته ، ولا فلسفة نيتشه ، يستطيع أن يسيطر على ستين مليوناً من الجنس الأوربى الممتاز ، وأن يسخرهم اثنى عشر عاماً فى ابتكار أفظع ما يتصور الذهن الجبار المجرم من وسائل الفتك وآلات الدمار ، فابتكروا من المهلكات المعجزات ما لو وجهوه إلى الخير لعمرت الأرض ، وأنفقوا من الأموال والثمرات ما لو سلطوه على الفقر لسعدت الدنيا . ولو أن هذا الشقى وأحلافه فعلوا ذلك فساعدوا الخير بمبتكرات العلم ، وأشاعوا الغنى ببراعات الإنتاج ، لكانت رسالتهم أكرم وسيادتهم أعمّ ومجدهم أخلد ؛ ولكنهم لم يهيأوا بطبائعهم لهذا الأمر لحكمة يريدها الله من هذا الكون العجيب الذى يحيا بالموت ، ويصلح بالفساد ، ويتجدد بالبلى ، ويقتات بعضه ببعضه ، ويتربص كله بكله !

نعم هلك الطاغيتان موسولينى وهتلر فى أسبوع واحد بعد أن ظلا ستة أعوام ينشران الفزع والجوع والموت والخراب والحداد فى كل أمة وفى كل أسرة وفى كل نفس ، دون أن يعصم الناس من كل أولئك عاصم من دفاع أو ملجأ أو بعاد أو حيدة . ومن سخر الأقدار أن الفوهرر الذى كان يدعو إلى النازية فى مشرب من مشارب البيرة فى ميونخ ، يُقتل وهو يدافع فى برلين فيهوِى على قاعدة مدفع ؛ وأن الدتشى الذى كان يخطب للفاشية على ظهر مدفع فى البندقية ، يُصرع وهو يفر إلى الحدود فيخر على صدر مومس ! ! والحق أن هاتين الميتتين : مِيتةَ الأسد لزعيم الألمان ، وميتة الكلب لزعيم الطليان ، هما الخاتَمان اللذان صاغتهما الحوادث للزعيمين من معدن الأمتين ليطبعهما التاريخ على وثيقة هذه المجزرة البشرية فيرمز بهما إلى نفس كل زعيم وطبيعة كل أمة ! وفى المجرمين تفاوت فى الطباع يدعو بعضها إلى الإكبار وبعضها إلى الإصغار ؛ ولكن اللص الإيطالى الذى يغتالك خفية بالموسى ، لا يختلف فى رأى القانون عن اللص الأمريكى الذى يقتلك جهرة بالمسدس ؛ وليس فى الإجرام تفاضل ولا فى الشر خيار .

***

انبعث هذان المسيخان من ركنين متجاورين من أركان التمدن الحديث ، فاستوحيا الشيطان دينين جديدين يجعلان الآخرة للدنيا ، والأمة للفرد ، والعقل للهوى ، والعلم للشر ، والحضارة

للدمار، والحياة للموت. ثم خرجت هاتان النِّحلتان من الكهوف والمواخير وانتشرتا في جواء برلين وروما انتشار الظلام المضل والغاز الخانق، فعميت عيون كانت ترى، وغبيت قلوب كانت تفقه. ثم هتكت النازية أستار الدول بالجواسيس، وبلبلت عقائد الناس بالدعاية، واشترت ضمائر الساسة بالمنى، وبثت في دخيلة كل أمة دعاة الهزيمة وسماسرة النفاق يزيفون الوطنية في كل نفس، ويميتون الحمية في كل رأس، حتى تركت القوم تماثيل من غير خلق ولا روح؛ ثم رمت جوانب الأرض وخوافق السماء بالموت الوحيّ في شتى أشكاله وأهواله، فأصبحت أوروبا الجميلة خليطاً من الأنقاض والأشلاء، ومزيجاً من الدموع والدماء، وانبسط الطغيان المحوري على ممالك كانت بالأمس مسارح للسلطان والمجد، فأصبحت اليوم سجوناً للأحياء وقبوراً للموتى.

ثم وقفت الديمقراطية من الدكتاتورية موقف الفريسة المرتاعة تنظر إلى الناب البارز، أوالشهيد الصابر ينتظرهُـوِيّ الحسام المصْـلَت؛ ولكننا قلنا يومئذ والأمل في النصر كبصيص النارة الخافت على محيط من اليأس يموج بالظلام والهول: إن الفوز مكفول للديمقراطية، لأنها هي الصحة التي انتهى إليها جسم الإنسانية العليل؛ أما الطغيان والبربرية فهما نكسة المرض؛ والنكسة خلل عارض لا يلبث بحسن علاج الطبيب وصدق إيمان المريض أن يزول. وقد صدّق الله هذا القول، فانهارت النازية على نفسها وأهلها انهيار الطود الأشم فلم تدع خنزوانة في رأس طاغية ولا أملاً في صدر طامع.

* * *

والدكتاتورية نظام من أنظمة الحُكم الشاذ يقتضيه حال ويستوجبه جيل ويستسيغه زمن؛ ولكنه كالعلاج بالسم إذا زاد مقداره قتل. وعيب الدكتاتور الصالح أنه يعرف كيف يبتدئ ولا يعرف كيف ينتهي. إنه عجَلة من غير فرملة، يحمل عليها أمته المتلكئة المتخلفة، ثم ينطلق بها انطلاق الطائرة المطاردة لا يلوى على شيء، حتى إذا غلا في السرعة وأوغل في السير أعياه الوقوف فيضل في مفازة سحيقة، أو يتردى في هاوية عميقة.

والطاغية إذا ركب رأسه تنكر للنصح وتمرد على المشورة. فهو يسكت أقطاب الرأي ليتكلم، ويؤخر أبطال القيادة ليتقدم. والغالب أنه يجيد القول ولكنه يزوّر، ويحسن العمل ولكنه يطيش. وما زلنا قريب عهد بشقشقة هتلر وثرثرة موسوليني، فقد كانا يقولان القول ولا يصدقان فيه، ويعدان الوعد ولا يبران به؛ لأن الاستبداد بالرأي ينفي التبعة، والاعتداد بالنفس يلغي الرقابة؛ والتبعة والرقابة مزيتا الديمقراطية. ومن ذلك كانت خطب تشرشل وروزفلت وثائق يستشهد بها السياسي ويعتمد عليها المؤرخ. والديمقراطية تنظر إلى الشيء من جهاته الست، وتسلك إلى الغاية طرقها المختلفة؛ ولكن الطغيان لا ينظر إلى الشيء إلا من الجهة التي تجذبه، ولا يسلك إلى الغاية إلا الطريق التي تعجبه. ثم يحمل الشعب على رأيه ونهجه بالإرهاب المستمر، والتعليم المسموم، والتربية الآلية، والدعاية المنشوشة، فلا يجوز لصوت أن يرتفع بتعريف أو إنكار، ولا ينبغي لأحد أن يقول للقاطرة الرعناء إلى أين تذهبين بالقطار!

* * *

الآن، وقد تحطمت النازية بعد أن تحدّت بجبروتها سنة الله وقوة الطبيعة، وارتفعت أيدي الأبالسة عن منشأ هذه الرجفة العامة من الأرض، وأخذت غواشي الليل الطويل تتكشف عن فجر السلام المشرق، وأوشكت الإنسانية المكروبة أن تجد نفَساً من الرجاء ورَوحاً من الطمأنينة، وآن لقادة الحديد والنار أن يتركوا الميدان لساسة الرأي والهوى، الآن يجمل بالأقطاب الثلاثة أو الأربعة الذين يقررون اليوم مصاير الأمم والشعوب أن يتخذوا لهم من أهوال ست سنين موعظة وعبرة. يجمل بهم أن يذكروا وهم حول الموائد الخُضر تلك الميادين الحُمر فتتمثل لعيونهم تلك القذائف الجهنمية تذرو أجساد الشباب كما تذرو العاصفة غُثاء الهشيم! يجمل بهم أن يذكروا وهم ينعمون بالحفلات الساهرة بعد المناقشات الثائرة، تلك الدور الحزينة التي خلت من عائلها الكادح، وفتاها الشابل، وأنسها الأنيس، وعيشها الآمن، فترد على خواطرهم تلك المآسي الدامية التي مثلتها الحرب في كل مكان! نعم يجمل بهؤلاء الأقطاب أن يذكروا أنهم أنقذوا المدنية هذه المرة أيضاً بأعجوبة. وليست الأعاجيب والمعجزات مما يُكشف أو يخترع؛ إنما هي الفرص والمصادفات تسنح أوتبرح كما يشاء القدر. إنهم إذا ذكروا كل أولئك كانوا حريين ألا يقبلوا في مؤتمر الصلح مندوبين عن أصحاب الجلالة: الاستثمار والاستعمار وبسط النفوذ! وإذن يتمتع العالم بسِلم طويلة يضمد فيها جروحه ويستأنف بها سيره.

احمد حسن الزيات

دار الترجمة

ونهضة مصر الثقافية

للأستاذ سيد قطب

قرأت مقال الأستاذ صاحب الرسالة عن « دار الترجمة » في العدد الأسبق من الرسالة ، ذلك الذي يقول فيه :

« والغريب المخجل أن المرء يقرأ أي نابغة من نوابغ العالم في أي لغة من لغات التمدن إلا في اللغة العربية . فالتركي مثلاً يستطيع أن يقرأ في لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ، ولكن العربي لا يجد في لغته لهؤلاء العباقرة العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارها مترجم على ذوقه ، ونشرهما على حسابه ! »

« فإذا أردنا يا معالي الوزير لأدبنا أن يتسع في حاضره كما اتسع في ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ؛ فإن لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالمياً ما لم يلقح بآداب العالم ؛ والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً في الأدب »

قرأته فإذا هو « يشخص » موقف المكتبة العربية الراهن من الثقافة العالمية تشخيصاً صادقاً صحيحاً . ولا يكتفي بهذا « التشخيص » بل يصف طريق العلاج ، ثم يتجاوزه إلى وصف الدواء فيقول :

« لذلك أرى — ورأيك الأعلى — أن تنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة ، يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ، فإنها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما في الخطر والأثر ، أو قل : إنهما الميدانان المتقدمان وهي مركز التموين الذي يمدهما بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يُختار لها مئتان من المترجمين النابغين في لغتهم وفي اللغات الأوربية الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً ؛ فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها في طبعاتها الأصلية .

« هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم أربعمائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر ، قد تكون كتابين أو كتاباً أو جزءاً من كتاب على حسب النظام الذي يوضع لها . فإذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب في أوربا وظهوره في مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة ألف جنيه ، وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية » ...

***

لقد استطردت في الاقتباس من كلمة الأستاذ ، لأنها واضحة دقيقة وافية ، تحيل ذلك الحلم الضخم عياناً منظوراً ، وتحول هذا المشروع الكبير حقيقة مستطاعة .

استطردت في الاقتباس لهذا ، ولسبب آخر يعنيني !

فالواقع أنني استرحت لهذا التفاؤل الذي يشيع في كلمة الأستاذ بعد أن بلا من مصر ما بلا في هذه السنين الطوال . وبعض هذا البلاء كاد يردني أنا الشاب إلى اليأس من كل رجاء ! ... إلى اليأس من تنفيذ أي اقتراح إنشائي يكلف المسئولين تغيير « الروتين » اليومي ، والإقدام على المشروعات الضخمة التي لا تسير على مثال سابق ، ولا تطرد على وتيرة معروفة . إن « السوابق » هي التي تحدد طريقة العمل واتجاهه في الديوان !

وكثيراً ما ابتلع هذا « الروتين » البغيض شخصيات حية مجددة تملأ الدنيا ابتكاراً وتجديداً وهي خارج « القفص الذهبي » حتى إذا آوت إليه لفها الدولاب ، وابتلعها الجو العام ، وعادت « موظفين » . أي آلات تسير سيرة الآلات !

فإذا ظل الرجاء يداعب رجلاً مجرباً كالأستاذ الزيات ، فذلك شعاع مضيء يعشو إليه أمثالنا من الشبان . وعجيب أن ينبع الأمل من نفوس الشيوخ وأن يتسرب منها إلى نفوس الشبان ، في هذا الزمان !

في وقت من الأوقات كان في وزارة المعارف مشروع مهيأ لترجمة « شكسبير » وكان مقرراً أن يسند إلى أديب كبير يوثق بحسن قيامه على هذا العمل الضخم . ثم ماذا ؟ ثم تغيرت

الظروف السياسية ، فطوى المشروع ، لأن الرجل الذى اختير له لا « ينسجم » مع القائمين بالحكم فى ذلك الأوان !

وفى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف أديب كبير جم النشاط متعدد الجوانب ، وكان للترجمة مشروع يقرب من مشروع الأستاذ الزيات ، تقدم به كاتب السطور ، وقيل له : إن المشروع موضع النظر والتفكير ، ثم صب على الرجل سيل من أعمال « الروتين » فنرق وقته كله ، حتى تغيرت الأحوال .

وفى وقت من الأوقات كان على رأس وزارة المعارف وزير يشتغل بالتأليف وبالترجمة أيضاً . وكان المنظور أن يصنع شيئاً فى هذا المجال . ولكن عجلة « الروتين » « وتوزيع الدرجات » قد استغرقت وقته مع المقابلات والوساطات والرجاءات ... !

وفى كل وقت مثل ، وفى كل عهد نموذج . وأسباب التسويف كثيرة ، و « القفص الذهبى » لا يسمح بالتحليق والطيران !

* * *

لا أريد أن أثبط عزيمة أحد ، ولا أن أطفئ الآمال فى صدر أحد ؛ ولكنى أحب أن أصارح الأستاذ المتفائل : إننى قليل الرجاء فى الدواوين . وإذا أسعدنا القدر فى وقت من الأوقات بوزير يقدم على عمل إنشائى كهذا العمل الجليل ، فالتقلبات السياسية بالمرصاد . ولا بد للوزير الجديد أن يجدد ، وأن يبدل ؛ ولا بد أن يجد من كبار المسئولين موافقة إجماعية على التجديد والتبديل ، كالتى لقيها سلفه سواء بسواء !

أجل لا بد أن ندور فى هذه الحلقة المفرغة ما دام «الروتين» هو الروتين ؛ ما دامت « السوابق » هى التى تحدد الاتجاه ؛ ما دامت روح الابتكار محصورة فى هذه الحلقة المفرغة على توالى الأجيال .

لقد قضينا الآن أكثر من عشرين عاما منذ حصلنا على نوع من الاستقلال ، نغير ونبدل فى مناهج التعليم ، فلم يتعدّ التبديل والتغيير طول مدة الدراسة وقصرها توزيع المواد المقررة على السنوات الدراسية ، توزيع الموظفين على المناطق أو حشدهم فى الديوان ، توزيع الدرجات على أساس أقدمية التخرج أو أقدمية التعيين أو أقدمية الدرجة ... ! إلى آخر هذه الدورات التى لا تنتهى فى الحلقة المفرغة المضروبة !

لم نفكر فى تغيير النظام المدرسى كله ، ولا تجديد عقلية التعليم ، أو على الأقل تغيير طرق الدراسة . لم نفكر فى « النموذج الإنسانى » الذى نريد أن نصل إليه بالتلميذ ، لنستطيع رسم الوسائل والأدوات . بل لم نؤلف « مكتبة التلميذ » . فهل تريد يا سيدى أن نؤلف « مكتبة الأجيال » ؟ . ألا ما أحلى الآمال !

* * *

أما لئن استطاع وزير المعارف الحالى أن يقهر الماضى كله ، وأن يقتحم العقبات جميعاً ، وأن ينفذ اقتراح الأستاذ الزيات فليكونن أكبر ميدان فى العاصمة أصغر من أن يتسع لتمثاله الخالد . إنه يكون واضع أسس النهضة وضامن بقائها أجيالا طويلة .

إن النهضة الثقافية فى مصر مودعة بضعة رءوس كبيرة ، ولكنها فانية — مع الأسف — فلئن أودعت بطون الكتب ، ليكونن هذا طريقها للخلود ، ولتضمنن لصاحبها كذلك الخلود .

وعندئذ نستطيع أن نحرر برامجنا المدرسية من نير اللغات الأجنبية فى سن مبكرة ، ومن مزاحمة هذه اللغات للغة القومية فى عهد التكوين . وهى مشكلة تواجه واضعى البرامج عندنا ، وتصطدم بقواعد علم النفس والتربية المقررة .

وعندئذ يصبح تعلم اللغات ضرورة لمن تستدعى الضرورات العملية فى الحياة أن يتعلموها ، وتصبح المكتبة العربية مصدر ثقافة عالية ككل المكتبات العالمية .

هذا أمل ، وأمل كبير . وما علينا أن نرجو فى تحقق الآمال ؟

سيد قطب

إلي حامي الاسلام . . .

للأستاذ علي الطنطاوي

[جاء في برقيات أمس أن موسوليني قد أسر ، ولو كان موسوليني البطل النبيل الذي حارب حتى سقط ، لنسينا عداوته وحيينا بطولته ، وللبطولة حقها لا يجحده كريم ، ولكن موسوليني دعي ظالم ، وخصم لئيم ، فلذلك وجهنا إليه هذا المقال] (ع ...)

يا من يفتش في الكتب عن العبر ! يا من يبحث في خرائب التاريخ ، تعالوا : فإن ها هنا عبرة ما في التاريخ أجلّ منها ، وما في الكتب مثلها . تعالوا فشاهدوا واعجبوا واعتبروا ...

هذا الذي تكبر وانتفخ حتى ما تسعه ثيابه ، وما يحتويه جلده ... هذا الذي تطاول وتعالى حتى ما يجد محلا يرتقي إليه . ولا علا فوق علوه ... هذا الذي طغى وبغى حتى استلب فراش هيلاسلاسي من تحته ، وطرده من بيته ... هذا الذي تجبر وتمرد حتى ألقى الشيخ المجاهد الصالح عمر المختار من الطيارة فتلقته الأرض ، أرضه وأرض قومه ، أشلاء ومزقاً ... هذا الذي جنَّ من الكبر ، وحمّ حتى صار يهذي في حمّاه ، ويثرثر في جنونه ، يقول : أنا حامي الإسلام !

تعالوا انظروا إليه أسيراً ذليلا ، يقاد إلى الموت ، بأيدي قومه ، قد طار هواء الكبر من جوفه ، فانحنى واستخذى وهبط من بعد علاه إلى الحضيض ، ونزل من يفاعه إلى القاع ، فمن كان يظن أن موسوليني سيكون أسيراً في بلاده يساق إلى المشنقة ؟

ألا لا يأمنن بعد اليوم ظالم ، ولو مدّ الله له ومنحه قوة وأعطاه مالا . ولا ييأسنّ مظلوم ولو ابتلاه الله فقدر عليه الضعف وكتب عليه الفقر . ولايفتحن فمه ملحد فاجر ، فإن لهذا الكون إلـها منتقما جباراً عادلاً ، يمهل ولا يهمل ، وعد للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

***

يا موسوليني ، يا حامي الإسلام هلم احم رأسك غداً من سيف الجلاد . احم اسمك من لعنات التاريخ . احم (عظمتك...) من سخرية الأجيال ، وهزء القرون الآتيات ، فإن للاسلام رباً يحميه ، وإن للاسلام يا أيها الدوتشي ... ولا دوتشي اليوم ! جنداً إن لم يكن لهم (الآن) مثل رصاص جندك الذي لا يقتل ، ومدافعهم التي لا تؤذي ، وأسطولهم الذي لا يحارب ، فإن لهم قلوباً فيها إيمان وسواعد فيها عزم ، ونفوساً لا تهاب الموت . ومن يجمع الإيمان والعزم وحب الموت لا يغلبه شيء . وسل إن كنت ناسياً ... سل عنهم بطاح طرابلس ، وبقاع الريف ، وجنات الغوطة ، وجبل النار . سل جنود إيطاليا الذين كنت تخطب فيهم خطبك المسرحية ... تظن أنك صرت بها قيصر ثانياً ...

لقد أجاب عليها شاعرنا حافظ ابراهيم، فقالها كلمة حق وصدق، كلمة قوة ونبل ، فاسمعها إن لم تكن سمعتها :

قد ملأنا البر من أشلائهم فدعوهم يملأوا الدنيا كلاما

نعم لقد امتلأت الدنيا أمس يا دوتشي بالكلام عنك ، والهتاف باسمك ، باسم موسوليني الأسير الجاني ... فهنيئاً لك هذه الشهرة وهذا المجد !

يا موسوليني ، لقد قوض المسرح ، ومزق الستار ، وبدا المكنون للعيون ، فإذا أنت وجندك كما قال الرافعي فيهم :

يا أمة النحت والتصوير ويحكم حتى جنودكم الأنصاب والصور

ولقد هدمت الأنصاب ، ومزقت الصور ... وثقبت هذه الكرة المنفوخة بإبرة ، فعادت قطعة من جلد ميت ...

***

يا من يفتش عن العبر ، هذه عبرة فخذوها ، وأذيعوها ، واصرخوا بها في أذن كل ظالم ، علّه يسمع ويصيخ ، ويتعظ ويعتبر ، قبل أن يقضي الله فيه قضاءه فيكون عبرة للمعتبرين .

قولوا لهم إن الظلم مرتعه وخيم ، وإن دعوات المظلوم سهام مسمومة ، وإن الدهر دوار ، والأيام دولاب ، وربما عزّ غداً الذليل وذلّ العزيز ، وجاءت ساعة الانتقام ، وويل يومئذ للظالمين .

***

ويا أيها المظلومون ، فرادى وجماعات ، فى كل قطر وتحت كل كوكب ، اصبروا ولا تقنطوا من رحمة الله ، ولا تيأسوا من روحه وكونوا معه ، فإن الظالم مهما كبر ، فالله أكبر ، ومهما طالت يده وعلت ، فإن يد الله فوق يده ، ومهما ملك من أمر يومه ، فإن غده وراء باب مغلق ، ومفتاحه عند الله ، وما يدرى أحد بماذا يطلع عليه غده .

لقد قال هوجو شاعر فرنسا الأكبر لنابليون بطلها الأكبر الذى تجرأ لما ولد له (ملك روما) فقال المستقبل لى : « يا أيها الملك ، إنك تستطيع أن تظفر فى أوسترلتز ، وأن تفتح فينا ، وأن تملك العالم ، ولكنك لا تستطيع أن تقول المستقبل لى ، لأن المستقبل يا أيها الملك ، لله وحده ! »

٭٭٭

وأنت يا فاتح الحبشة ، وغازى طرابلس ، اخل الآن بنفسك وابك على خطيئتك ، واستمد تلك الخطب ، وفكر فى هاتيك الأيام التى كنت تطل فيها من شرفة قصرك ، على أولئك الآلاف المؤلفة من الشخوص السود ، أبطال الفاشست ، فتصرخ فيهم حتى يتمزق حنجرتك ، وتتفجر رئتاك ، وهم يجيبون بدوىّ يهتز له ذلك القصر ... أين هؤلاء الذين أعددتهم ليكونوا عدتك فى بنيك على طرابلس ؟ أين ذلك الحماس وذلك الدوىّ ؟ مجد بنيته فى الهواء فضربته الرياح ! يا غازى طرابلس ، لقد كانت فرقة المغاربة من الطرابلسيين وإخوانهم المسلمين أول فرقة وطئت أرضك ، وغزت بلادك ، وطاردتك حتى سقطت فى الفخ ، كما تسقط الضبع الخبيثة التى لا تأكل إلا لحوم الموتى لأنها لا تجرؤ على الأحياء ! لا لست الأسد الجريح ، ولا النسر المهيض !

فكر فى ذلك الشيخ الشهيد الذى ملأ مصرعه كل قلب بغضاً لك ، وكل عين دمعاً عليه ، لقد انتقم الله له ، ولكننا لا نريد أن يفعل بك ما فعلت به لأنا أكرم منك أصلا وفرعا ، وأنبل خلقاً وطبعا ، ولأن نبينا نهانا عن المثلة ، وأمرنا بالرفق حتى بالحيوان فلا نذبحه إلا بشفرة حادة ، فاطمئن فقد أحدت لك الشفرة !

يا موسولينى ، وما إياك نخاطب . لقد صرت أقل وأذل من أن تخاطب ؛ ولكن ليعتبر قوم لم يقتلوا بعدُ قتلتك ، ولم يذلوا ذلتك . ياموسولينى إنا لانشمت ، وما الشماتة سجية فينا ، ولكنا ندل على مكان العبرة فيك ، حين نلت جزاءك ... لقد أوكت يداك ، ونفخ فوك ، فغرقت ، فالحمد لله الذى أنقذ الأرض منك وأقر بك عيون من ظلمت ، وأرانا فيك هذا اليوم الأسود[١] اللهم أنعمت فزد ، فإنها لا تزال الأرض تمج بالظالمين !

القاهرة

على الطنطاوى

حاشية : قضى الله قضاءه العادل فى موسولينى الظالم بين كتابة هذا المقال ونشره .

(على)

(١) اقرأ مقالة (فضيحة القرن العشرين) فى الرسالة عدد (١٥١) فى ٢٠ مايو سنة ١٩٣٦

صلوات فكر
في محاريب الطبيعة !
للأستاذ عبد المنعم خلاف

أزل وأبد !

لما تعب الناس من الوقوف على عتبة المهد ، يقولون لكل قادم : من أين أتيت ؟ والوقوف على عتبة اللحد ، يقولون لكل ذاهب : إلى أين عزمت؟ ولم يعلموا من الأزل والأبد علما ، انصرفوا حين ذهب عنهم ذهول الطفولة إلى القنطرة والجسر الذى وجدوا أنفسهم فوقه ، يتراكضون عليه ويبنون ويتزاحمون ويختصمون ، واتخذوا لهم فلسفة هى وعى الحياة المادية فوق هذه القنطرة وحدها ، واقتناء التجارب فيها ، ومدوا علمهم فى تراب الأرض ورحابها ، وصار من طبيعة تفكير أكثرهم أنهم لا يسألون عن النبأ العظيم الذى ينبثّ فى السماء والأرض ، ويوجه الأفكار الخالصة للسؤال عنه

وإنهم ليمرقون من الدين الموروث لأنهم لم يحسوا حقيقته فى الأزل والأبد بأنفسهم ، ولم يَدُرْ بخواطرهم التفكير فى هذا الوجود الغريب الذى ليس من طبيعته أن يكونوا هم منه .

إنهم لا يلتفتون للأزل إلا حين يطرق بابهم مولود قادم فيفرحون ويضحكون له ، ولا يتيقظون للأبد إلا حين يودّعهم مودّع ميت فيبكون عليه .

هم يضحكون للأول لأنه كائن يظهر لهم وينمو ويتفتح « فيقتنونه » ويعلكونه كمتاع ...

وهم يبكون على الذاهب لأنه يُنتزَع منهم ويختفى ، ويذكرهم باختفائهم وذهابهم إلى المصير المجهول فيخافون ...

هم لا يتيقظون إلا حين ظهور شىء أو اختفائه . أما استمراره وحركة حياته فلا يسترعيان انتباههم .

مهما فلسف الحسّيون الماديون الذين لا يؤمنون بالغيب فيما قبل حياتهم وما بعدها ، فإن العقل والطبع لا يقبلان أن يصدر هذا الكائن العظيم من غير مصدر أزلى عظيم ، ولا أن يذهب إلى غير مصير أبديّ عظيم ، لأنه يوقن أن له فى ضمير الكون كله نسباً عريقا خالداً !

همسات :

هنا همس من عوامل الحياة ودورات الأحداث ودوافع الأرحام

وهناك همس من عوامل الموت وسكون الأجداث وعقم الرّجام

والإنسان بينهما لا يسمع ... لأنه لا يسمع إلا بأذنين ...

وهما لا يسمعان إلا ضجيج الطبل ورنين الدينار والكأس .

أما الهمس النافذ الدائم فله حاسة أخرى تكاد تكون مفقودة عند الأكثرين ... الإنسان بين المهد واللحد ، بين السرير والنعش ، بين القصر والقبر ؛ ولا يسأل ما هاته المجائب المتضادة التى ما جاء للحياة إلا ليدركها أو يحار فيها ...

أحاول بهذه الكلمات أن أضخم هذه الهمسات حتى يسمعها الذين لا يسمعون إلا بالآذان ، وأن أشق لها طريقا بين ضجيج الحياة ... فلقد امتلأت الآذان بالصخب والزّئاط والعياط حتى تصدعت الرءوس ، وشاقها أن تسمع بعض الألحان الخافتة التى تفتحت عليها آذانها ، وهى فى مهد الحياة كما يشوق الرجال أن يستعيدوا الألحان والأهازيج التى سكبتها الأمومة فى آذانهم ...

وقد رأيت الآداب والفنون توشك أن تنساها وتجهل أقدارها وتغفلها إغفالا ، وشغلت بضجيج الطبول وأشكال الفقاقيع الفانية وأحاديث الأسمار والمخاصمات والمتاجرات فى الحطام والشهوات ...

جامع أزهار

أنا جامع أزهار من حديقة الله . وكثيرون مشغولون بجمع أحطابها وأشواكها .

فلا عجب أن أكون متفائلا مبتهجا نتيجة ما توحيه بهجة الأزهار . . .

ولا عجب أن آخذ منها وجهها الرفيق الباسم الملون بألوان جميلة . والذين أخذوا أنفسهم بجمع أحطابها وقشورها وأشواكها لا شك قد ورثوا من ذلك قسوة وعبوساً وعنفا وتشاؤما وغفلة عن العناية بنواحى الجمال والفن فيها .

فاللهم اجعل حظى دائما جمع أسرارها من أزهارها وثمارها وجنبنى أشواكها وعبوسها ... !

قلوب مفتحة وقلوب مغلقة

من الذى له عظمة الله ورحمته ولطفه وجبروته وكبرياؤه ، وهو

مع ذلك يحتفى بكل مخلوق من رعيته، ويضع عينه عليه ويمنحه ويرشده؟!

إنه يزور ضمير كل إنسان فى جميع الأحيان ... فالمخلصون له المترقبون لجلاله، الدائمو الفكر فيه، يفتحون له أبواب ضمائرهم كلما أحسوا نسائم رحمته أو عواصف نقمته! وحينئذ يدخلها سره، ويلقى فيها ما يشاء، ثم يتركهم فترات ليفكروا ويقدروا ...

والمعرضون عنه الغافلون عن جلاله وعلمه، لا يفتحون له قلوبهم إلا كما يفتح البخيل باب داره .. فلا يحسون قربه ونفاذه إلى ضمائرهم ..

اليأس والاحتماء

هل نملك ونحن عجزة ضعفاء، غير أن نتعلق بيد الله رب العزة والجبروت قهار السموات والأرض، وصاحب هــذه الدار التى أدخلنا إليها وجعل لنا فيها مثل ما لغيرنا، فاعتدى علينا الظلمة أمام ساحة عدله، وهو ينظر القاتل والمقتول؟

هل نملك غير أن نتعلق بهذه اليد القاهرة، نسألها أن تبطش بالذين غيروا ما وضعه، وأفسدوا ما أصلحته، وشوهوا ما سوته، وحرموا الضعاف من برها وعطفها المباح؟!

لقد عجزنا وذهبت حيلتنا! وطمست علينا وجوه السبل لننقذ أنفسنا وننقذ ما فرحنا به من صور المثل العليا ومباهج الحياة! ولم يبق لنا إلا التعلق بيده، نسألها حيلتها ومكرها ليحيق بمكر أهل السوء!

لا وجوه:

لا وجه يطالعنى مما أرى فى الطبيعة ولا مما وراءها ... لا وجه واضح المعالم محدث اللسان مضىء العينين! إنما هى أجسام غير محدودة ولا مشكلة إلا فى النبات والحيوان ... وما عداهما فأهراء من التراب والسحاب والحجارة ... وأنصاب من الجبال، وأغوار من المياه ... ثم صمت يكتنف الجميع ... ...

أمد نظرى إلى عالم التراب فيقف مصدودا لدى عتبات الباب .. وأمده إلى السحاب فيضيع فى الضباب ... وأمده إلى النجوم فيرتد حسيرا، وأمده إلى أغوار الماء فلا يرى إلا خياله ...

لا وجه إلا وجه الإنسان؛ وهذا قريب حاضر، ولكنه مثلى قاصر ... ووجه الله، وهذا بعيد جليل لا يستطاع التحديق إليه ..!

طالما وقفت وقوف العاجز المسجون أطلب أن أرى وجهاً آخر غير وجه الإنسان ليحدثنى عن أسرار الحياة!

عبد المنعم خلاف

أبو سعيد أبو الخير
وشطحات المتصوفة
للدكتور جواد على

علّق معالي الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق فى كتابه القيم « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » على اسم أبى سعيد أبى الخير ، وفى أثناء عرضه لرأى المستشرق « تنان » guillaume Theophil " Tennemann " بهذا التعليق : « لم أجد ذكراً فيما بين يدىّ من مراجع البحث لأبى سعيد أبى الخير ، لكن يوجد أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز نسبة إلى خرز الجلود من القرب ونحوها من أهل بغداد ، وقد ذكره صاحب كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » وقال السيد مصطفى العروسى فى حاشيته على شرح الرسالة القشيرية « هو شيخ الطائفة غير أنه توفى على الأرجح سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م) وذلك يمنع أن يكون هو المراد بواضع علم التصوف قبل القرن الثانى أو فى ثناياه »[١].

ثم استمر معاليه قائلا : « على أن الأستاذ ماسينيون ذكر فى كتابه « مجموعة نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام » ص ٨٧ أبا سعيد بن أبى الخير المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) وذكر أنه خراسانى وأشار إلى أنه كان يتحلل من القيود الدينية وكان ذا صلة بالفيلسوف ابن سينا ، وليس أبو سعيد ابن أبى الخير هذا هو المقصود بالضرورة »[٢].

ثم ذكر معاليه بعد هذه الفقرة نصوصاً فيمن يصح أن ينسب إليهم التصوف وفيهم اسم أبى سعيد الخراز البغدادى . وحين تحدث المستشرق عن أبى سعيد تحدث عن تطور التصوف فى الإسلام وعن الأفكار الحديثة التى حلت بناديه كفكرة وحدة الوجود ثم ذكر تأثير بعض المتصوفة فى التصوف كأبى سعيد أبى الخير فى فارس والهند .

وتأثير أبى سعيد فى متصوفة فارس تأثير مشهور معروف ولا سيما عند المستشرقين ، وسبب ذلك على ما أرى هو أن هذا المتصوف كان فى إيران ، وكان يكتب فى عصر أخذ الفرس فيه يدونون أفكارهم بلغتهم الوطنية ، وفى عصر ظهرت فيه حكومات إيرانية أخذت تشجع اللغة الفارسية ، فصار صاحبنا يكتب بهذه اللغة بأسلوب سلس جذاب وينظم بها نظماً جديداً على طراز مبتكر فريد[١] ، وفضلا عن ذلك فإنه لم يغادر وطنه على ما هو معروف عنه . ومع ذلك فإن الكتب العربية تحدثت عنه كمتصوف عظيم ونعتته « بشيخ الوقت ومقدم شيوخ الصوفية وأهل المعرفة فى وقته »[٢]

وأما قول معاليه حكاية عن رأى تنان : « ثم جاء التصوف فعرض لهذا العلم المؤلف من اصطلاحات خاوية وانضم إليه خصوصاً عند فرقة القائلين بوحدة الوجود من أهل التصوف الذى وضعه قبل القرن الثانى أو فى ثناياه أبو سعيد أبو الخير ، ولا تزال تلك الفرقة منتشرة فى فارس والهند »[٣] ففيه التباس على ما أعتقد نتج إما عن خطأ فى الأصل وقع فيه المستشرق — وهو حكم لا أستطيع أن أجزم به لعدم وجود كتاب المستشرق لدى فى الوقت الحاضر — وإما عن صعوبة فى العبارة ووهم فى الترجمة أو الإختصار إذ لا يوجد شخص آخر فى تاريخ التصوف بهذا الإسم وبهذه الصفات ظهر أثره فى فارس واتهم بالتحلل من قيود الدين وبالقول بوحدة الوجود غير هذا الشخص الذى نتحدث عنه الآن والذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس للهجرة ، لا قبل القرن الثانى أو فى ثناياه كما جاء فى الكتاب .

---

(١) راجع كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى باشا عبد الرازق ص ٦ عن أحمد بن عيسى الخراز . راجع الرسالة القشيرية ص ٢٤ والخراز من أهل بغداد صحب ذا النون المصرى والنباجى وأبا عبيد البسرى والسرى . مات سنة سبع وسبعين ومائتين أو تسع وسبعين ومائتين . راجع الطبقات الكبرى للشعرانى ص ٧٨ وما بعد .

(٢) تمهيد ص ٦

(١) راجع عنه The Mystics of Islam, by R.A. Nicholson وكذلك Browne Persian Literature, vol I. p, 416. London 19.h رسالة حورانية ص ٤٩٣ Zhukovski

(٢) راجع طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ابن تقى الدين السبكى (المطبعة الحسينية) جـ ٤ ص ١٠ كذلك الأنساب للسمعانى (طبعة جب ص ٥٥٠ . أيضا تذكرة الاولياء لفريد الدين عطار جـ ٢ ص ٣٢٢ وتذكرة الشعراء ، تأليف أمير دولتشاه بن علاء الدولة (طبعة Broune) ص ٨٤ و ٥٢١ .

(٣) تمهيد ص ٥ وما بعد .

والمستشرقون من ذوى التخصص فى موضوع التصوف حين يتحدثون عن مشاهير المتصوفة يتحدثون عن أبى سعيد كمثل بارزمن أمثلة المتحررين والقائلين بوحدة الوجود . وكتب التصوف الفارسية تعتبره أمة بنفسه فى عالم التصوف ، صاحب مدرسة ورأى . ومن البديهى أن يكون الشخص الذى بحث عنه تمان هو هذا الشخص الذى ذكره سائر المستشرقين وكتاب العرب والفرس[١]

وأبو سعيد بن أبى الخير الذى تحدث عنه هذا المستشرق ، والذى نتحدث عنه الآن ، هو شخصية مشهورة جداً ؛ وقد بحث عنه المستشرق المعروف إتى (Ethé) فى رسالته التى وضعها فى عام ١٨٧٨ للميلاد ، والمستشرق الروسى زوكوفسكى (Zhukowski) ناشر كتاب « أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد »[٢] ثم المستشرق الثقة فى موضوع التصوف الإسلامى الإنكليزى « نيكلسون »[٣] ، والمستشرق (إدوارد براون) فى كتابه القيم «تاريخ الأدب الفارسى»[٤] . وهو أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير ولد فى غرة المحرم من عام ٣٥٧ للهجرة (٧ دسمبر ٩٦٧ م) فى ميهنه وهى مدينة من إقليم خابران بخراسان[٥] وتوفى فى ٤ شعبان من عام ٤٤٠ للهجرة (١٢ يناير من عام ١٠٤٩ للميلاد)[٦] ، وكان أبوه عطاراً ؛ ولكنه كان فناناً موهوباً محبوباً من السلطان محمود الغزنوى ملك غزنة .

يقول فريد الدين عطار : رسم أبو الخير والد أبى سعيد على جدران بيته صورة بديعة للسلطان محمود الغزنوى وهو فى وسط معركة حامية الوطيس تحف به فيلته وجنوده على طريقة الهنود فى المعارك ، فلما أبصر ابنه أبو سعيد هذه الصورة وهو طفل يافع نقش على جدران البيت أسماء الله الحسنى فلم يترك مكاناً إلا كتب

(١) راجع طبقات السبكى ج ٤ ص ١٠ ؛ الانساب للسمعانى (طبعة جب) ص ٥٥٠ . كتاب لب الالباب ص ٢١٠ طبعة Petrus vettr (أمستر دام) . رسالة حورائيه طبعة Zhukovski ص ٤٩٣ . تذكرة الشعراء (طبعة براون) وتذكرة الاولياء .

(٢) طبع فى بطرسبرك سنة ١٨٩٩ .

(٣) راجع كتابه الشهير Nicholson. The Mystics of Islam London, 1914 Nicholson, Studies in Islamic Mysticism Cambridge 1921 1—76

(٤) Broune persian Literature p. 2

(٥) راجع لب الالباب ص ٢١٠ .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) مجلد ١ ص ٣٠٢ . والانساب ص ٥٥٠ . وطبقات السبكى ج ٤ ص ١٠ .

عليه اسم الله العظيم . فلما رأى ذلك والده امتعض كثيراً ووبخه على عمله الذى سبب تسويد الجدران وتشويه منظرها . فما كان من الطفل إلا أن أجاب : « نقشت ياوالدى على الجدار اسم سلطانك ، ونقشت أنا اسم سلطانى »

فخجل الوالد من هذا الجواب وأمر بإزالة معالم ما رسمه هو على الجدار[١] .

درس أبو سعيد ، على طريقة ذلك الوقت ، النحو والفقه والتفسير والحديث والشعر وعلم الطريقة ، وحفظ من شعر العرب وحده ثلاثين ألف بيت[٢] ناهيك بشعر العجم . ولما توسم أبوه فيه الخير أخذه إلى أكبر شيخ فى بلده وهو الشيخ أبو القاسم الكركانى من كبار المتصوفة وأصحاب الطرق ليتبرك به ولينال على يديه العلم والفوز والسعادة[٣] .

كانت الأحوال السياسية والإجتماعية فى هذا العصر سيئة جداً : أمراء يتذابحون على جيف الدنيا ، وسلاطين يتقاتلون على ملك زائل لن يدوم ، ومشايخ يتحاسدون على نعمة لا تساوى شيئاً ، وانحطاط فى الخلق إلى أقصى حد ، ونقص فى المثل الإسلامية العليا ، وشذوذ فى الطبع غريب ، وتكالب على المادة . فرأى الناس أن المخرج الوحيد للخروج من هذا المأزق هو محاربة المادة عن طريق التصوف ، ومجاهدة الدنيا عن طريق الزهد . فنفقت سوق المتصوفة وراجت بضاعتها . ويجب ألا ننسى بأننا فى بلد فيه استعداد لهذا المبدأ قديم ، والهند وهى عش من أعشاش التصوف تجاوره وقد أمدته وغذته بهذه المادة منذ العصور التى سبقت الإسلام .

وكانت العادة أن يتنقل طالب العلم فى ذلك الوقت من مكان إلى مكان طلباً للعلم وبحثاً عن شيخ شهير . وفى ذات يوم وبينما كان الغلام يغادر المدرسة إلى البيت إذا بأحد الفضوليين من المارة يسأله عما درس وعن الكتاب الذى درس فيه ، وأخيراً عن «ماهية الحقيقة» ولما لم يكن أبو سعيد يعرف شيئاً عن ماهية الحقيقة تشوش واضطرب ، فأجيب : « حقيقة العلم ما كشف عن السرائر »[٤] فأثار هذا الجواب فى نفسه شوقاً عظيماً إلى معرفة الحقيقة

(١) راجع تذكرة الاولياء ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٢) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) راجع تذكرة الاولياء ص ٣٣٤ .

ولم يزل يبحث عنها حتى وجدها فى أروقة الزهاد والمتصوفين .

اتصل وهو بمرو بالفقيه الشافعى أبى عبد الله الحصرى ، ثم تحول إلى أبى القفال ، والظاهر أن دراسة الفقه لم تجد فى نفسه هوى ومكانة فانتقل إلى «سرخس» وهنالك اتصل بصوفى مجذوب هو لقمان السرخسى ، وقد أرشده هذا الصوفى إلى صوفى آخر هو « أبو الفضل حسن » تلميذ أبى نصر السراج على طريقة الجنيد البغدادى المتوفى عام ٢٩٧ للهجرة وعام ٩٠٩ للميلاد[١] .

أتقن أبوسعيد مبادئ التصوف واجتاز الامتحانات النفسية الشاقة ونال « الخرقة من أبى عبد الرحمن السلمى النيسابورى (المتوفى عام ٤١٢ للهجرة) وأصبح درويشاً من الدراويش من أهل السلك والذوق وقطباً من أقطاب التصوف فى منطقة خراسان[٢] .

والتصوف فى نظر أبى سعيد أبى الخير هو « طرح النفس فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والنظر إلى الله بالكلية »[٣]

وبعد سياحة فى البرارى والقفار على طريقة الفقراء دامت سبع سنوات لم يبال خلالها بحر أو ببرد عاد أبو سعيد إلى مخالطة الناس ومجالستهم ، ونال خرقة ثانية من أبى العباس القصاب بمدينة « آمل » إلى أن حل أخيراً بنيسابور[٤] .

بلغ أبو سعيد منزلة عالية جداً فى التصوف ، والتف حوله جم غفير من المريدين رأوا فى سيرته سيرة الرجل الزاهد الصالح الذى وصل إلى مرتبة الوجد والفناء[٥] . فكانوا يتبركون به ويتهالكون عليه . والسعيد منهم من حصل على قطرة ماء من ماء وضوئه ليتبرك بها . حتى أنه سقطت منه قطعة من قشر البطيخ

(١) عطار ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٢) عطار ج ٢ ص ٣٢٦ وهو صوفى شهير وقد اشتهر بتفسير القرآن على طريقة الصوفية وله فيه كتاب شهير هو كتاب (حقائق التفسير) ويذمه الذهبى فى تذكرة الحفاظ ح ٣ ص ٢٤٩ راجع أيضا . Journal Asia 1912, 584 .

(٣) راجع طبقات السبكى ح ٤ ص ١٠ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية مجلد ١ ص ٣٥٣ فريد الدين العطار ح ٢ ص ٣٢٧ وما بعد .

(٥) الوجد هو بشارات الحق بالترق إلى مقامات مشاهداته . راجع كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٨٢ (طبعة اربرى) . والفناء عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك . راجع اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية ص ١٧٩ . التعرف ص ٩٢ الجرجانى ص ١١٣ .

«الرقى» فتهالك أصحابه عليها واشتراها أحدهم بعشرين ديناراً[١] .

وأبو سعيد كسائر كبار المتصوفة من أصحاب الحس المرهف والخيال ، فنان موهوب بطبعه ، حلو الحديث ، سلس العبارة . كان على رأى أكثر المتصوفة الفرس فى مذهب الحلول ووحدة الوجود بل كان من متطرفى أصحاب هذا المذهب فى هذه العقيدة . وقد سما خياله فى هذا الباب حتى على خيال بايزيد البسطامى (المتوفى عام ٢٦١ للهجرة) والحلاج . وقد تحلل فى كثير من أقواله من القيود المألوفة ، لم يجد فى ذلك حرجا ولا غضاضة . والأنبياء وعددهم (١٢٤) ألف نبى كلهم فى الدرجة سواء جاءوا لتحقيق شىء واحد هو « معرفة الله » ولكن متى تمت هذه المعرفة عرف الإنسان كل شىء وسقط عنه كل شىء وتساوى لديه كل شىء[٢] .

والشريعة هى ظاهر المعرفة ، لذلك فهى لا توصل إلى المعرفة لأنها ظاهر الحق جاءت لمن لا يعرف الحق ولم يؤت العلم الصحيح . والسبيل الوحيد الذى يسلك بنا إلى المعرفة هو مسلك (الطريقة) وذلك لا يتم طبعاً إلا بعد جهد جهيد يصل الإنسان فى نهايته إلى إدراك (الحقيقة) ثم إلى (النهاية) التى هى فوق (الحقيقة) وهى (المعرفة) التى لا يمكن إدراكها إلا بعد إدراك (علم اليقين)[٣] .

ومتى خلص الإنسان كل قواه وحصر كل حواسه فى الوجود الحقيقى بحيث اتصل به اتصالا كلياً أدرك عندئذ (عين اليقين) . ومتى وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من المعرفة اتصل اتصالا مباشراً (بالمعرفة) التى تشع بنورها على القلوب وتتجلى عندئذ أسرار النبوات وحقائق الكتب المنزلة فلا حاجة إلى نبوة أو وسيط « لأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسل »[٤] وحيث أن القليل من الناس من يصل إلى هذه المرتبة احتاج الناس إلى الأنبياء والوسطاء ليكونوا سفراء بين الحق والناس[٥] .

البقية فى العدد القادم

الدكتور جواد على

(١) دائرة المعارف مجلد ١ ص ٣٥٢ . عطار ج ٢ ص ٣٢٧

(٢) راجع عطار ج ٢ ص ٣٢٤ . عن المعرفة راجع التعرف ص ١٠١ . المعرفة إذا وردت على السر ضاق السر عن حملها كالشمس يمنع شعاعها عن إدراك نهايتها وجوهرها .

(٣) راجع مصطلحات الصوفية ودرجاتهم .

(٤) راجع رسائل ابن تيمية الرسالة الأولى ص ٢٠

(٥) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ١٧٧ .

من تاريخ الأدب الفرنسي

بوفون وحديثه عن الأسلوب

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

ولا شىء كذلك أيضا يضاد الفصاحة الحقة إلا استخدام هذه الخواطر الضعيفة والبحث عن الأفكار السطحية المنحلة التى لا صلابة فيها ، والتى تشبه أوراقا معدنية مطروقة لا تنال اللمعان إلا بفقدان الصلابة ، وكلما أفرغنا من هذه الروح الضعيفة اللامعة فى مؤلف قل نصيبه من القوة والوضوح والحرارة والأسلوب ، إلا إذا كانت هـذه الروح هى الغرض من الموضوع ، ولم يكن للكاتب هدف إلا الفكاهة . إن فن الحديث عن الأشياء الصغيرة ربما كان أصعب من الحديث عن الأمور العظيمة[١] .

لا شىء أكثر مضادّة للطبيعة السليمة إلا التعب الذى يتكلف للتعبير عن أشياء عادية أو شائعة بطريقة شاذة أو مبهرجة[٢] ، ولا شىء ينزل الكاتب عن درجته أكثر من ذلك ؛ ففضلا عن عدم الإعجاب به يلام لأنه قضى وقتاً طويلا فى تركيب مقاطع جديدة لأجل ألا يقول إلا ما يقوله كل الناس . هذا عيب النفوس المتعلمة العقيم ، فلديها كلمات كثيرة ، ولا أفكار عنـدها . مجال عملها إذا الكلمات ، وتتخيل أنها كونت فكرا ما دامت قد رصت جملا . وأنها قد نقت اللغة فى حين أنها قد أتلفتها بتغيير معناها . هؤلاء الكتاب ليس لهم أسلوب ، أو — إن شئت أن تقول — ليس لهم منه سوى الظل . إن الأسلوب يجب أن ينقش بالأفكار ، وهم لا يعرفون إلا أن يرسموا ألفاظاً .

(١) قال جريم Grimm : « من الواجب اعتقاد أن بيفون أضاف هذه الفكرة الأخيرة ليغرى بعض زملائه الجدد الذين لا يستطيعون أن يدعوا أن لهم مجدا إلا مستمداً من أنفس ضعيفة براقة . ولكن فكرته ليست حقاً ، فإن فن الحديث عن الأشياء الصغيرة فن تخيل صغير ، ولا يتحدث عن العظائم إلا العبقرية . إنى أفضل أن أقول شيئاً واحداً ممتازاً طول عمرى على أن أطبع اثني عشر مجلداً فى أمور صغيرة . وإنى أتحدث عن هـذه الأشياء التافهة التى تجلب للرجل شهرة ضعيفة عابرة لأن هناك سمواً أيضاً فى الفكاهة ، لا يستطيع الحصول عليه إلا العبقرية » .

(٢) يبدو من الغريب أن بيفون يمقت بهرجة الأسلوب ، وفى الحق أنه لا يمقته إلا حين يخفى تفاهة الفكرة وضآلتها ، ولكنه يقبـل حقاً — وكان هذا دأبه — أن يكون الأسلوب فخما مناسباً لعظمة الموضوع .

للكتابة الجيدة إذاً يجب امتلاك ناصية الموضوع امتلاكا تاماً ، والتفكير فيه تفكيرا كافيا حتى يرى الكاتب بوضوح نظام عناصره ، ويكونها متتابعة ، ويجعل منها سلسلة متصلة فيها كل نقطة تمثل فكرة ، وعند ما يأخذ القلم يجب أن يعالج الموضوع بالتوالى مبتدئا بالنقطة الأولى من غير أن يسمح له بتركها ، أو أن يعنى بالعناصر عناية غير متساوية ، أو أن يضع عنصراً فى مكان غير مكانه المحدّد له والذى يجب أن يشغله . بهـذا تبدو صراحة الأسلوب، وذلك أيضاً هو الذى يجعل منه وحدة ، وينظم سرعته ، وهو فقط ما يكفى لأن يجعـل الأسلوب دقيقا بسيطا متساوياً ، واضحاً ، حياً ، متتابعاً .

إذا ضمّ إلى هـذه القاعدة الأولى التى يكفل تحقيقها الموهبة — الرقة ، والذوق ، والدقة فى اختيار التعبيرات ، والعناية بألا تسمى الأشياء إلا بأكثر الأسماء عمومية[١] حاز الأسلوب نبلاً ، وإذا ضم إلى ذلك أيضاً الاحتراس من أول انفعال والاحتقار لكل ما ليس فيه سوى البريق والنفور الدائم من الإبهام والسخرية ، نال الأسلوب رصانة وجلالاً أيضاً . وأخيراً إذا كتب الإنسان كما يفكر ، وإذا كان مقتنعاً بما يريد أن يقنع به سواه ، أنتج هـذا الاقتناع الذى يرتاح إليه الغير ، وصدق الأسلوب — كل آثارها ، على شريطة ألا يعبّر عن هذا الاقتناع الداخلىّ بعبارات حماسية قوية ، وأن يكون دائماً ، التحرّز أكثر من الثقة ، والتعقل أكثر من التحمس .

هكذا ، أيها السادة ، يبدو لى وأنا أقرؤكم أنكم حدثتمونى

(١) يقصد بيفون بالعبارة العامة هـذه التى لا تبرز الصفات العرضية للأشياء ، ولكن صفاتها الأساسية الدائمة . وإذا كان يوصى باستخدامها فذلك لأنه يرى أن عمومية الفكرة تكسو الكلمة نوعاً من النبل ، ولكن هذه الوصية خطرة لأن استخدام الأسماء العامة يلقى بنا فى الابهام والغموض ، ويجعلنا نضحي بالدقة المؤثرة ، وبالحياة فى سبيل جمال كاذب ، وتترك الكلمة الحقة المستخدمة إلى عبارات طويلة ، فلا يقال مثلا : الأسد ، ولكن ملك الوحوش ، ولا باريس ولكن عاصمة النور ؛ وقد هزئ باسكال Pascal من هؤلاء الذين يقنعون الطبيعة . والواجب أن نتمسك برأى برويير Bruyère الذى يقول : (كل عبقرية المؤلف تنحصر فى قوة تحديده وتصويره . يجب أن نصور الحق لتكون كتابتنا طبيعية قوية رقيقة .) .

وعلمتمونى ؛ وإن روحى التى تلقت بشراهة إلهامات الحكمة هذه رغبت فى القفز والارتقاء إليكم ؛ وما أضيعها من جهود . إن القواعد ، كما قلتم أيضاً ، لن تحل محل الموهبة ، فهى إذا فقدت أصبحت القواعد غير مجدية . فالكتابة الجيدة هى التفكير الجيد والشعور الصادق والإبانة الممتازة مجتمعة معا ، هى أن يجتمع للمرء ذكاء وإحساس وذوق . وإن الأسلوب يتطلب اجتماع القوى العقلية وتمرينها . والأفكار وحدها تكون روح الأسلوب ، وتناسق الكلمات ليس إلا تابعا ، ولا يتعلق إلا بحساسية الأعضاء . ويكفى أن تكون لك أذن دقيقة نوعا ما لتتجنب تنافر الكلم ، ويكفى أن تمرنها وتكملها بقراءة الشعراء والخطباء ، لتندفع بدون وعى إلى تقليد التناسق الشعرى والأسلوب الخطابى ، لكن التقليد لم يخلق شيئا ، وتلاؤم الكلمات أيضا ليس أساس الأسلوب ، ولا قوته ، وكثيراً ما يوجد فى مؤلفات خالية من الأفكار[1] .

متانة الأسلوب ليست إلاملاءمته لطبيعة الموضوع ، ولا يصح أن تنال قسراً ، بل تتولد تولداً طبيعيا من معنى الموضوع نفسه ، وترتبط غالبا باستخدام العبارات العامة التى تجذب إليها الأفكار . وإذا كان من المستطاع الارتفاع إلى أعظم الأفكار عمومية ، وإذا كان الموضوع فى نفسه عظيما ، ارتفعت النغمة إلى المستوى نفسه ، وإذا قدمت الموهبة ما يكفى لأن يوضح كل غرض وضوحا تاما مع احتفاظ النغمة بهذا المستوى ؛ وإذا أمكن أن نضيف جمال التلوين إلى قوة الصورة ، وفى كلمة واحدة ، إذا كان من المستطاع أن نبرز كل فكرة فى صورة حية محددة تحديداً تاما ، وأن نكون من سلسلة الأفكار لوحة متسقة ، حية — لم تكن قوة الأسلوب رفيعة فحسب ، بل فى غاية السمو .

هنا ، أيها السادة ، يكون التطبيق أفضل من القاعدة ، والأمثلة تفيد أكثر من النظريات ، ولكن بما أنه لا يسمح لى أن أذكر القطع السامية التى كثيراً ما أثرت فى لدى قراءة مؤلفاتكم أجد نفسى مضطراً إلى الوقوف عند حد التأملات . إن المؤلفات

(١) فكرة عزيزة لدى بيفون ، فهو يرى أن الأسلوب يجب أن يغير نغمته تبعاً لطبيعة الموضوع ، وينبغى أن يرتفع أو يهبط إلى مستوى المواد التى يعرضها والموضوع الذى يعالجه ؛ وهكذا كان بيفون فخما عندما يكتب فى التاريخ الطبيعى ، وبسيطاً مستخدماً للألفاظ الشائعة فى رسائله إلى أصدقائه المقربين

الجيدة الكتابة[1] هى وحدها فقط التى تنتقل إلى الخلف ، وإن كمية المعارف ، وطرافة الأعمال بل وجدة المكشوفات ليست ضمانات كافية للخلود[2] . وإذا كانت الكتب التى تحويها لا تتحدث إلا عن أغراض تافهة ، أو إذا كانت مكتوبة بلا ذوق ولا سمو ولا موهبة ، فسوف تبيد ؛ لأن المعارف والموضوعات والمكشوفات تسرق بسهولة وتنتقل ، بل وتكتسب أيضا بأيد أكثر مهارة . إن هذه الأشياء خارجة عن الرجل ، أما الأسلوب فالرجل نفسه[3] وإذاً فالأسلوب لا يستطاع سرقته ولا نقله ولا تحريفه ، فإذا كان رفيعا نبيلا ساميا صار المؤلف أيضا موضعا للاعجاب فى كل زمان لأنه لا شىء يبقى ويخلد سوى الحقيقة ، وإذا فالأسلوب الجميل لم يكن كذلك إلا بما يبرزه من عدد لا يفنى للحقائق ، وكل المحاسن العقلية التى به ، وكل التفصيلات التى يتكون منها حقائق بمقدار نفعها ، وقد تكون أغلى عند النفس الإنسانية من هذه الحقائق التى تستطيع أن تكون أساس الموضوع

إن السمو لا يستطيع أن يوجد إلا فى الموضوعات العظيمة . والشعر والتاريخ ، والفلسفة ، لها كلها موضوع واحد عظيم هو الإنسان والطبيعة ؛ فالفلسفة تصف وتصور الطبيعة ؛ والشعر يصورها ويزخرفها ؛ ويصور الناس أيضا ويمجدهم ويبالغ فى أوصافهم ، ويخلق الأبطال والآلهة . والتاريخ لا يصور إلا الناس

(١) لنفهم قيمة هذه الفكرة يجب أن نعود إلى التحديد السابق للكتابة الجيدة ، وهو : الكتابة الجيدة هي التفكير الجيد والشعور الصادق والابانة الممتازة مجتمعة معاً .

(٢) علق على ذلك الأستاذ (رينيه نولت) بقوله : إن الأعمال والمعارف والمكشوفات ليست إلا مادة الكتاب الذى لا يأخذ شكلا إلا بالأسلوب الذى يبرز الأفكار ويثبتها .

(٣) هذه العبارة مشبورة ، وفى بعض الطبعات الأولى نجد بعض التحريف ، إذ فيها : Le style est de l'homme même أى أن الأسلوب من الرجل نفسه ، وقد يذكر المعنى فى كلمات موجزة هكذا : Le style, c' est l' homme أي أن الأسلوب هو الرجل ، وقد يظن معنى تلك العبارة أن الأخلاق الشخصية للكاتب تظهر ظهوراً قويا فى أسلوبه ، ومع أن هذه الفكرة صحيحة فى ذاتها لا يقصد إليها بيفون ، بل يريد شيئاً آخر ، ذلك أن مادة الكتاب نفسها ليست للمؤلف وحده بل هى مشتركة بينه وبين سواه ، أما الأسلوب فقط فلا يرتبط بغير الكاتب وهو ملك له ، فمثلا مادة كتاب التاريخ الطبيعى وما فيه من الملاحظات والأوصاف ليس ملكا خاصاً لبيفون ، بل كان له مساعدون آخرون لهم نصيبهم من هذه الملاحظات والأوصاف ، ولكن الذي اختص به بيفون ، والذى له وحده هو الأسلوب الذى صاغ فيه كل هذه المعلومات .

وبصورهم كما هم ؛ وهكذا نغمة المؤلف لا تصير سامية إلا عندما يضع صور أعاظم الرجال ، وعندما يعرض أعظم الأعمال وأعظم الحركات ، وأعظم الثورات . وفيما عدا ذلك يقاسي عناء أن يكون جافا عابساً ، ونغمة الفيلسوف تسمو في كل حين يتحدث فيه عن قوانين الطبيعة ، والمخلوقات بوجه عام ، وعن المكان ، والمادة ، والحركة ، والزمن ، والروح والنفس الإنسانية والعواطف والانفعالات؛ وفيما عدا ذلك يقاسي عناءً أن يكون نخما عاليا . ولكن نغمة الخطيب والشاعر ، متى كان الموضوع عظيما ، يجب أن تكون سامية دائما ؛ لأنهم السادة الذين يجمعون إلى سمو موضوعهم سمو التصوير والحركة والتخييل [١] الذي يسرهم ، ولأن من الواجب عليهم أن يصوروا الموضوعات ويفخموها — يجب أيضا في كل حين أن يستخدموا كل قواهم وأن ينشروا كل ما تستطيعه عبقريتهم .

أحمد أحمد بدوي

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

(١) يقصد بالتخييل أن يتوهم القارئون والسامعون أن للموضوعات العظمة التي يدعيها الشعر والخطابة .

القضايا الكبرى في الإسلام

١٤ – قتل سعيد ابن جبير

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

إذا أردنا أن نصل إلى ما يرضى العدل والإنصاف في هذه القضية الكبيرة ، وجب أن يسير البحث فيها بقطع النظر عن شخصية المقتول وشخصية القاتل ، لأنا إذا نظرنا إلى شخصية المقتول فسنجد أنه كما قال فيه خصيف : من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيَّب ، وبالحج عطاء ، وبالحلال والحرام طاوُس ، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبير ، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير . وسنجد أيضاً أنه كان كما قال فيه أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه .

وإذا نظرنا إلى شخصية القاتل وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، فسنجد الناس يكادون يجمعون على أنه كان ظالماً جباراً ، وقد قال ابن خلكان : كان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها ، ويقال إن زياداً أراد يتشبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات ، إلا أنه أسرف وتجاوز الحد ، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمّر .

وقد نظر الناس إلى هذه القضية متأثرين بشخصية سعيد وشخصية الحجاج فلم يوفقوا كل التوفيق فيها من الناحية القضائية ، ولم يصلوا فيها إلى حكم يرضى القضاء كل الرضا ، ولا يتأثر بعاطفة الحب والكره ، وإذا خالفناهم في ذلك فسنصل إلى حكم في هذه القضية يرضى كل منصف من الناس ، لأنه يراعى فيه كل وقائع القضية من ناحية الحجاج وسعيد ، ويبين تبعة كل منهما في هذه الوقائع .

اضطرب أمر المسلمين بعد قتل عثمان رضي الله عنه اضطراباً كبيراً ، ووقعوا في فتن شديدة كادت تقضي على الإسلام في مهده لولا أن الله كان يهيء لهم فترة من الاجتماع بعد التفرق ، فيمضي الإسلام ظافراً في فترة الاجتماع ، وينظر العقلاء إلى ظفره فيرضيهم ويجعلهم يغمضون أعينهم على ما في حكمهم من قذى حذراً من التفرق ، وما يجلبه على الإسلام من أكبر الضرر ، وقد جاء الإسلام بجواز ارتكاب أخف الضررين ، وكانوا مع هذا يرضون الله بالنصح الرفيق ، والبعد عن الاشتراك في ذلك الحكم ، وكان من هذا الفريق الحسن البصري رضي الله عنه ، وهو سيد التابعين وأكبر علماء عصره قدراً ، فكان يبتعد عن وظائف الحكم منكراً له في صمت ، ولا يقصر في توجيه النصح الرفيق للحكام ، وقد شكا إليه الحجاج ما يجده في مرض موته فقال له : قد كنت نهيتك أن تتعرض إلى الصالحين فلججت . فقال له الحجاج : يا حسن ، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني ، ولكن أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحي ، ولا يطيل عذابي . فبكى الحسن بكاء شديداً !

أما سعيد بن جبير فإنه لم يبتعد عن وظائف هذا الحكم ،

فكان في أول أمره كاتباً لعبد الله بن عُتْبَة بن مسعود ، ثم كتب لأبي بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري ، وقد ولاّه الحجاج القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح للقضاء إلا عربي . وكان سعيد مولى لبني والبة بن الحارث ، وهم بطن من بني أسد بن خُزيمة ، فاستقضى الحجاج أبا بردة بن موسى الأشعري ، وأمره ألا يقطع أمراً دون سعيد بن جبير ، ثم جعله في سُمّاره وكلهم من رؤوس العرب ، وكان الحجاج يعرفه من عهد ولايته على الحجاز ، وقد أعطاه في أول ما رآه مائة ألف درهم يفرقها في أهل الحاجة ، ولم يسأله عن شيء منها .

وفي سنة ثمانين من الهجرة جهز الحجاج جيشاً لغزو رُتبيل ملك الترك ، وولى عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ، وجعل سعيد بن جبير على عطاء الجند ، وكان الحجاج يبغض عبد الرحمن ويقول : ما رأيته قط إلا أردت قتله . وقد سمع الشعبي ذلك من الحجاج ذات يوم ، فأخبر عبد الرحمن به . فقال : والله لأحاولن أن أزيل الحجاج عن سلطانه . وكان عبد الرحمن ينتمي إلى ملوك كندة ، فيعتز بنفسه ولا يخضع للحجاج كغيره ، وكان يبطن التشيع لعلي رضي الله عنه كغيره من أهل الكوفة ، فأراد الحجاج أن يرسله في تلك الغزوة النائية ليتخلص منه ويشغله بالجهاد وكان قد غزا رتبيل قبله عبيد الله بن أبي بكرة في جيش كثيف فهلك في تلك البلاد ، فسار عبد الرحمن حتى وصل إلى بلاد رتبيل فأوغل فيها ، وفتح كثيراً من حصونها ، فلما حاز من أرضه أرضاً عظيمة ، وملأ يده من الغنائم ، حبس الناسَ عن الوغول في تلك الأرض وقال لهم : نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ، ويجترىء المسلمون على طرقها ، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم ، وفي أقصى بلادهم وممتنع حصونهم ، ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله .

ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم ، فلما أتى كتابه إلى الحجاج كتب جوابه : كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ، ويستريح إلى الموادعة ، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس ، فخله وما وليته . فكبر ذلك على عبد الرحمن ، ثم جمع الناس إليه ودعاهم إلى الخروج على الحجاج فأسرعوا إلى إجابته ، وكان أكثرهم من أهل العراق الذين يضمرون البغض لبني مروان ، ولم يقتصروا على خلع الحجاج ، بل خلعوا بعده عبد الملك بن مروان ، ونادوا بعبد الرحمن أميراً عليهم وانقلبوا في يوم وليلة يذكرون ظلم الحجاج ، وظلم عبد الملك بن مروان ، وكانت بيعتهم لعبد الرحمن : تبايعون على كتاب الله ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم ، وجهاد المُحِلين ، فإذا قالوا نعم بايع . ثم صالح رتبيل على أنه إن ظهر على الحجاج فلا خراج عليه أبداً ما بقي ، وإن هُزم فأراده ألجأه عنده ، وكان سعيد بن جبير فيمن خرج مع عبد الرحمن وبايعه .

ولاشك أن من ينظر إلى هذه الوقائع يجد أن عبد الرحمن لم يخرج على الحجاج غضباً لله تعالى ، وإنما خرج غاضباً لنفسه حين كتب إليه الحجاج يرميه بالعجز والضعف ، ويولي مكانه أخاه إسحاق ابن محمد ، وقد دفعه الغرور بنفسه إلى هذا الخروج وهو ليس بأهل لما نصب نفسه له من الإمارة على المسلمين ، وقد كان يوجد من الصحابة والتابعين في عصره من لا يذكر بجانبهم ، ومع ذلك آثروا السكون للمصلحة ، ورأوا أن الإسلام في حاجة إلى فترة من الهدوء بعد تلك الفتن ، ولقد أساء عبد الرحمن إلى الإسلام حين صالح رتبيل ذلك الصلح الشائن ، وعمد إلى السيف الذي كان يجب أن يُصوَّب إليه فصوبه إلى رقاب المسلمين ، وأعادها فتنة عمياء كتلك الفتن التي لا يزال الإسلام يجني آثارها إلى اليوم ، ولكن الغلطة غلطة الحجاج حين ولى عبد الرحمن هذه الإمارة وهو لا يثق به ، ويعرف أنه لا يخلص لأهل دولته ، وقد نصحه إسماعيل بن الأشعث فقال له : لا تبعثه ، فوالله ما وصل جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطاناً ، وإني أخاف خلافه . فقال الحجاج : ليس هناك ، هو لي أهيب ، وفيّ أرغب ، من أن يخالف أمري ، أو يخرج من طاعتي .

وكان على سعيد بن جبير أن يعرف كل هذا ، وأن يذكر كل ما كان بينه وبين الحجاج ، وألا يجر نفسه وراء أطماع عبد الرحمن

فى الإمارة والملك ، وهو رجل عالم صالح لا أطماع له فى مثل ما يطمع فيه ، ولا يليق به أن يستخدمه مثله فى أغراضه ، وما كان أجدره أن يبعد عن الحجاج كما بعد عنه إخوانه من العلماء ، وأن يترفع عن وظائفه وأمواله كما ترفعوا عنها ، حتى لا يكون له حجة عليه فى يوم من الأيام ، ولا يؤاخذه بها إذا لم يقم بواجب الإخلاص له عليها

وقد جرت حروب شديدة بين الحجاج وعبد الرحمن ، ذهبت فيها دماء غزيرة من المسلمين ، ولو أنها وجهت إلى رتبيل لاستفاد منها الإسلام ، وانتفع منها المسلمون ، ثم انتهت هذه الحروب بانتصار الحجاج ، ففر عبد الرحمن إلى رتبيل يطلب أمانه على ما كان بينهما من الصلح ، وهرب سعيد يتنقل فى البلاد إلى أن قصد مكة ، فكان هو وأناس أمثاله يستخفون فلا يخبرون أحدا أسماءهم ، فلما ولى خالد بن عبد الله القَسْرىُّ مكة قبض عليهم وأرسلهم إلى الحجاج ، وكان لا يعفو عمن خرج مع عبد الرحمن إلا إذا قال له : أتشهد أن قد كفرت ؟ فإذا قال نعم عفا عنه وإلا قتله ، وهو يرى فى ذلك أن من يخرج على الإمام يكون كافرا ، لأنه ورد فى بعض الأحاديث أن من مات ولا بيعة فى عنقه مات ميتة جاهلية ، وقد أخطأ الحجاج فهم ذلك الحديث ، لأن معناه أنه يموت على مثل ما كان الناس عليه فى جاهليتهم ، إذ لم يكن لهم إمام يجمع كلمتهم ، وليس معناه أنه يكون كافرا مثلهم .

وكانت مواقف حرجة قتل فيها كثير من العلماء الذين كبر عليهم أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر ، وكان لبعضهم لباقة أنقذته من ذلك الموقف الحرج ، كما فعل الشعبى وقد أشار عليه إخوانه ونصحاؤه أن يعتذر أمام الحجاج ما استطاع من عذر ، فلما دخل عليه رأى غير ما ذكروا له ، فسلم عليه بالإمرة وقال : أيها الأمير إن الناس قد أمرونى أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وايمُ الله لا أقول فى هذا المقام إلا الحق ، قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليه أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعد فالحجة لك علينا . فقال له الحجاج : أنت والله أحبُّ إلىَّ قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ، ثم يقول ما فعلت ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبى فانصرف .

ولم يكن لسعيد بن جبير مثل لباقة الشعبى ، بل اضطرب أمره حين وقف أمام الحجاج ، ولم يلتزم طريقا واحدا ينفعه فى هذا الموقف الحرج ، مع أن الحجاج قد لَوَّح له بأنه يحب أن يعفو عنه ، فإنه حين رآه قال : لعن الله ابن النصرانية — يعنى خالداً — أما كنت أعرف مكانه ؟ بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة . ثم أقبل عليه فقال له : يا سعيد ، ألم أشركك فى إمارتى ؟ ألم أفعل ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك علىَّ ؟ قال : إنما أنا بشر يخطىء مرة ويصيب مرة . فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، ثم عاوده فى شىء فقال له : إنما كانت بيعة فى عنقى . فغضب الحجاج وانتفخ حتى سقط أحد طرفى ردائه عن منكبه ، وقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ، ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى . قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة ، فأخذت بيعتك له ثانيا ؟ قال : بلى . قال : فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين ، وتفى بواحدة للحائك بن الحائك ، والله لأقتلنك . قال : إنى إذن لسعيد كما سمتنى أمى . فأمر به فضربت عنقه ، وإياه عنى جرير بقوله :

يا رُبَّ ناكثِ بيعتين تركته وخضابُ لحيته دَمُ الأوداج

وقد كان على سعيد وقد اعترف على نفسه بالخطأ فى خروجه على الحجاج أن يمضى فى ذلك حتى يحقن دمه ، وقد قال الله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وما كان له بعد هذا أن يعتذر ببيعته لعبد الرحمن ، لأنه قد اعترف بخطئه فيها ، ولا معنى بعد هذا للاعتذار بها .

وإذا كان سعيد قد أخطأ تلك الأخطاء فى هذه القضية ، فإن خطأه فى أنه لم يتورع عن ذلك الحكم الجائر كما تورع غيره من العلماء ، وفى أنه أخطأ الطريق فى إنكاره فغلا فيه ووضع يده فى يد من لم يكن مخلصاً فى إنكاره ، ولعله أراد بذلك أن يكفر عن عدم تورعه عنه فى أول أمره ، ولكن تلك الأخطاء بالغة ما بلغت لا تبلغ خطأ الظلم نفسه ، فكان على الحجاج أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب سعيدا ، وأن يعرف أن ظلمه هو الذى أوقع سعيداً وغيره فيما وقعوا فيه ، ولو أنه فعل ذلك لأراح نفسه وأراح الناس جميعاً .

عبد المتعال الصعيدى

الأسرة والمجتمع

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد من سعة الاطلاع، ورجاحة الفكر، والتمكن من ناصية البيان، ما يتيح له علاج أي موضوع من موضوعات الآداب والعلوم علاج الإخصائي الأريب، ويسمو ببحوثه في نباهة الشأن، وألمعية التحقيق إلى منزلة منقطعة النظير. وقد تجلت خصائصه هذه جميعاً في مقاله القيم بعدد الرسالة السابق عن كتابي «الأسرة والمجتمع» الذي ظهر أخيراً في مؤلفات «الجمعية الفلسفية المصرية».

غير أني — إذ أبدى كبير إعجابي بكلمته المتعة عن هذا الكتاب، وأقدم إليه جزيل الشكر لما وجهه إلى الكتاب وصاحبه من عبارات الإطراء والمدح، وبذله في دراسة مسائله من عناية مشكورة، ولما أبداه بصدده من ملاحظات قيمة تنم على دقة التأمل وعمق التفكير — أرى من الخير أن ألقى نظرة على بعض ما ورد في ملاحظاته من أمور تحتاج إلى مزيد من التوضيح.

فمن ذلك ما ذكره الأستاذ بصدد تماسك أجزاء الكتاب، وذلك إذ يقول: «ويظهر أن الكتاب قد ألف في أوقات متفرقة. أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر، فتكررت فيه العبارات بمعنى واحد، وورد فيه بعض الأسماء بألقاب مختلفة. ولكنه على هذا مطرد السياق، متتابع الفصول، يتمم اللاحق منه ما سبقه من الأجزاء، وينتقل فيه القارىء من تمهيد إلى مقدمة إلى نتيجة بغير انقطاع».

ولا أدري كيف تتوافر هذه الصفات الأخيرة في كتاب، ثم يُظَنّ مع ذلك أن بعض فصوله قد كتبت بمعزل عن بعضها الآخر، أو أنه قد ألف في أوقات متفرقة؟! أما تكرار بعض العبارات في مواطن مختلفة من هذا الكتاب، فقد تعمدته تعمداً، ورأيت أن تماسك أجزاء المؤلف لا يستقيم بدونه. وذلك أني قد عمدت إلى هذا التكرار في موضعين يظهر في كليهما القصد وشدة المحافظة على ربط الأقسام بعضها ببعض.

أحدهما أني قد ذكرت في المقدمة الحقائق الأساسية، أو «الفكرة la thèse» التي سأعنى باستخلاصها من بحثي لظواهر الأسرة. ثم كررت في الخاتمة هذه الحقائق نفسها، أو هذه «الفكرة»، بعباراتها المذكورة في المقدمة بعد أن كشفت لي دراستي للموضوع عن صحتها، ومهدت لي سبيل استخلاصها. وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه المحافظة على اطراد السياق وربط أجزاء الموضوع بعضها ببعض، ويصل إليه الحرص على اتفاق نتيجة الدليل مع نفس القضية التي جعلت موضوعاً للاستدلال. وقد كان لي في منهج علماء الرياضة أسوة حسنة في هذا السبيل. فقد جرت عادة الرياضيين في علاجهم لنظرياتهم أن يعرضوا أولا نص النظرية التي يريدون دراستها، ثم يأخذون في الاستدلال على صحتها، حتى يصلوا إلى نتيجة تتفق في عباراتها اتفاقاً تاماً مع نفس هذا النص.

والموضوع الثاني الذي تعمدت فيه التكرار لشدة المحافظة على ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض يلاحظه القارىء في عرض طائفة من النظريات التي قال بها علماء الاجتماع. وذلك أن بعض هذه النظريات تشتمل على حقيقتين أو على حقائق كثيرة يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، ولكنها تتصل بموضوعات عرضتُ لها في عدة فصول من الكتاب؛ فاضطررت حيال كل نظرية من هذا النوع إلى تكرارها كاملة في فصلين أو أكثر مع عنايتي في كل فصل بالناحية التي تهم موضوعه منها. وذلك كنظرية «ماك لينان» التي يذهب فيها إلى أن نظام قتل الأولاد في الأمم البدائية قد أدى إلى تحريم التزاوج بين الأقرباء وإلى اصطناع طريقة السبي في الزواج. فلما كان موضوع المحارم قد عرضت له في القسم الأول من الفصل الثاني وموضوع السبي قد عرضت له في القسم الثالث من هذا الفصل، وكانت نظرية «ماك لينان» تتصل بكلا القسمين، وتتوقف عناصرها بعضها على بعض، اضطررت إلى تكرارها فيهما، مع اقتصاري في كل قسم على مناقشتها من الناحية التي تهم موضوعه.

وأما ورود بعض الأسماء في كتابي بألقاب مختلفة، فلا أرى

فى ذلك موضعاً للمؤاخذة متى كانت هذه الألقاب صحيحة ، كما لاأرى فيه دليلا على ماظهر للأستاذ العقاد . فقد ذكرت «فرزر» مرة بلقب العلامة ، ومرة بقلب العلامة الانكليزى ، ومرة بلقب الأستاذ ، وجميع هذه الألقاب صحيحة لأن فرزر أستاذ علامة انجليزى . وفعلت مثل ذلك بصدد مرجان ووستر مارك وباخوفين ودوركايم وماك لينان ... وغيرهم ممن ورد ذكرهم فى عدة مواطن من الكتاب . وقد يكون بعض الألقاب مقصوداً استعماله بالذات فى موطن ما لغرض يدل عليه سياق الحديث ، وقد يكون غير مقصود . ولكن أمراً عادياً كهذا لا يدل على أى حال ، على أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر ، كما يذهب إلى ذلك الأستاذ العقاد . وإن الواحد منا ليكتب خطاباً إلى صديق فيتحدث فيه عن شخص ثالث مرة بلقب الصديق ، وأخرى بلقب الأخ ، وثالثة بلقب الأستاذ ، ورابعة بلقب الدكتور ... ، بدون أن يكون فى ذلك دليل على أن الخطاب قد كتبت بعض أجزائه بمعزل عن البعض الآخر . وأكبر الظن أن الأستاذ العقاد نفسه لو كان قد ذكر اسمى فى مقاله أكثر من مرة لتعددت ألقابى لديه عن قصد وعن غير قصد .

* * *

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الأستاذ بصدد خلاصة الكتاب إذ يقول : « وخلاصة الكتاب كله أن الأسرة نظام اجتماعى لا طبيعى ، كما جاء فى الفصل الثالث ... »

وحقيقة الأمر أن خلاصة الكتاب ، كما بينت ذلك بصراحة فى مقدمته وفى فصله الأخير ، تشتمل على ثلاث حقائق : إحداها الحقيقة التى أشار إليها الأستاذ العقاد ؛ وثانيتها « أن نظم الأسرة ليست من صنع الأفراد ، ولا هى خاضعة فى تطورها لما يريده لها القادة والمشرعون . وإنما تنبعث من تلقاء نفسها عن العقل الجمعى واتجاهاته ، وتخلقها طبيعة الاجتماع وظروف الحياة ، وتتطور وفق نواميس عمرانية ثابتة ، وأن القادة والمشرعين ليسوا فى هذه الناحية وغيرها إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين عن رغباتها وماهيئت له . فإن انحرفوا فى تشريعهم عن هذا السبيل كان نصيبهم الإخفاق المبين » ؛ — وثالثة هذه الحقائق « أن نظام الأسرة فى أمة ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات هذه الأمة وتقاليدها وتاريخها وعرفها الخلقى وما تسير عليه من نظم فى شؤون السياسة والاقتصاد والتربية والقضاء ، وما تمتاز به شخصيتها الجمعية ، ويكتنفها من ظروف فى شتى فروع الحياة ، وأنه فى طريق تطوره يسير منسجماً مع هذه الأمور . فشأنه معها شأن جهاز مع بقية أجهزة الجسم الحى . يسير فى أداء وظائفه ومناهج تطوره على طريق ينسجم مع طريق الأجهزة الأخرى ؛ ولا يستقيم أمره وأمر الجسم الذى يحل فيه إلا إذا سار على هذا السبيل . فإن لم يراع القادة والمشرعون هذه الحقيقة فى علاج النظام العائلى جاء إصلاحهم عنصراً غريباً فى حياة الأمة ، تتجرعه الجماعة تجرعاً ولا تكاد تسيغه ، وتتضافر نظمها الأخرى على مطاردته ودفعه ، ولا تنفك تطارده وتدفعه حتى تجهز عليه ، فيصبح أثراً بعد عين ، كجرثومة ضعيفة تنفذ إلى جسم منيع » .

ولا تقل الحقيقتان الأخيرتان أهمية فى نظرى عن الحقيقة الأولى ، بل إنهما لتزيدان عنها أهمية من الناحيتين العملية والإصلاحية كما أنى لم أعن بواحدة منها أكثر من عنايتى بما عداها . ولا يظهر فى الكتاب أى أثر لترجيح بعضها على بعض .

* * *

ومن ذلك أيضاً أنى ذكرت فى الفصل الأخير من الكتاب لتأييد الحقيقة الأولى المشار إليها فيما سبق ، اثنى عشر دليلا متماسكة مترابطة يشد بعضها بعضاً ، وتقضى فى مجموعها على كل منفذ يتسرب منه الشك إلى هذه الحقيقة . وقد استخلصت هذه الأدلة استخلاصاً من دراستى لموضوع الأسرة ، وذكرتها تحت أرقام مسلسلة ، ولكن الأستاذ العقاد قد اقتصر على نقل فقرة واحدة من الدليل الأول وحده ، وذكر هذه الفقرة فى صورة يتبادر منها إلى ذهن القارئ أن هذا هو كل ما اعتمدت عليه . ثم ناقشها ورأى أنها لا تنهض حجة على تأييد النظرية التى أريد تأييدها ، وبنى على ذلك معظم ما ذكره فى مقاله .

وغنى عن البيان أن بنياناً يقوم على اثنتى عشرة دعامة يأخذ بعضها بحُجَز بعض ، ويشد بعضها بعضاً ، يبدو ضعيفاً واهياً إذا لم يبق من دعائمه هذه إلا جزء من دعامة واحدة ، ولا يحتاج هدمه فى هذه الحالة إلى كبير عناء ؛ وإن حكما بناه القاضى على

اثنى عشر سبباً تدل عند ضمها بعضها إلى بعض على صحة ما جاء به ، ليبدو حكماً فطيراً ضعيفاً إذا لم ينشر من أسبابه هذه إلا فقرة من سبب واحد .

فلو أن الأستاذ العقاد قد ذكر جميع الأدلة التي أوردتها أو لخصها لا تضح وجه الحق فيما أذهب إليه . بل لو أنه ذكر الدليل الأول وحده كاملا لظهرت النظرية في شيء من قوتها .

* * *

أما النظرية التي ذهب إليها الأستاذ العقاد بصدد الدعائم التي يقوم عليها نظام الأسرة ، وهي النظرية التي عارض بها نظريتي والأدلة التي أعتمد عليها لتأييد هذه النظرية فتحتاج مناقشة هذا كله إلى مقال طويل نرجئه إلى عدد قادم إن شاء الله ، مع تكرار شكرنا للأستاذ الجليل لما قدمه إلينا من فضل ، وما أتاحه لنا من فرصة للتحدث في هذا الموضوع الهام على صفحات الرسالة الغراء .

علي عبد الواحد وافي
دكتور في الآداب من جامعة باريس

فلسفة المجتمع

ذوات الطنـــين ...

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزِجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

ولم أكد أنتهى من إنشاد صاحبي شعر العبسى ، حتى تقلص وانفرد ، وقد ارتعشت شفتاه ، وانفسحت بينهما مسافة مخيفة ، انطلقت منها هذه الكلمات تتخلج ولا تتحرج : يا أخي ، جنبني شر شعرك هذا ! فما عدت أومن بما للشعر من قيم وأقدار ؛ قلت : أو يؤمن الشعر بمن لا يعرف أواصره وأنسابه ؟

قال : أتريد أن تبرأ من هذا الشعر وفيه جودة التصوير والصدق .. وصاحبي هذا نسيت أن أقدمه لقارئيه ، حتى يطمئنوا إلى ما يجرى على لسانه من حديث وجدل ... فهو قد انبعث إلى أوربا بضاعة مزجاة ، ثم ردت بضاعتنا إلينا مهوشة مضطربة ككل بضاعة وافدة من هناك ، تنكر الفضحى وتتهم ثقافتها ، وتعيش بمعزل عن كل ما يقرأ أو يكتب من الميمنة إلى الميسرة ، والمعجب الطريف من أمره أن يده اليمنى معطلة ، فهو مع شماله دائماً ، قارئاً وكاتباً ... فصاحبي رجل — أعور العقل واليد — ورحم الله الرافعي ...

قلت له : لن أبرأ من هذا الشعر وإن كان للعبسى ... فقد حدثتك نفسك ، وهي ذكية ، لولا ما يكتنفها من « كثافتك » . حدثتك أن جواً خاصاً أعيش فيه يتنفس بهذا الشعر ... والزمن مهما تراخى ، لا بد واصل بوشائج وصلات ، بين مظاهر الحياة ومفاتن المجتمع ...

كان ثمت للعبسى روضة وذباب .... افتتن بهما ، وافتن في تصويرهما ... وقد احتفظ نقدة الأدب ومؤرخوه بهذه الروعة الماثلة في هذين البيتين ، وظلت تتحدر من قمة الزمن ، حتى ترسبت في سفح هذا الجيل ، نابضة بالصدق ، مزدانة بالتصوير ...

روضة واحدة كان يغشاها العبسى غردة بذبابها ، مخضلة بنداها . أما أنا وأنت يا صاحبي ، فأينما اتجهنا ، فرياض نواحة بذبابها « الأصيل » مخضوبة بلعابه السام ... وذباب واحد كان يستهوى العبسى بنشيده الموقع المحبوب ، في ضحوة الصبح وصفرة الأصيل ...

وتسمع للذباب إذا تغنى كتغريد الحمام على الغصون[1]

ذباب يترشف ألحانه من كؤوس الزهر البليلة المشرقة في مطالع الربيع ومجالى الطبيعة ، كما يحدث أبو النجم عن روضته الأنُف التي تعِلُّ ذبابها من أكاليل الزهر وريحانه

أُنُفٌ ترى ذبابها تعلُّه من زهر الروض الذى يكلُّه

أما أنا وأنت ياصاحبي ، فقذى أعيننا مواكب الذباب الأصيل يستثيرنا بطنينه المُلِح الموصول في غدونا ورواحنا ... ذباب يصوغ أصواته من دم الأخلاق الهزيلة الضالة ، ولا ينشط إلا في عتمة الليل ومتاهات الظلام حيث ترهف الآذان ، وتنحط معاني الحيوان ...

ولا تثقل عليك فلسفتي هذه يا صاحبي ، فقد ذكر الجاحظ : « إن للذباب وقتاً يهيج فيه لأكل الناس وعضهم وشرب

(١) البيت للمثقب العبدى شاعر جاهلي من شعراء البحرين

دمائهم ؛ وإنما يعرض هذا الذباب فى البيوت عند قرب أيامها ، فإن هلا كها يكون بعد ذلك وشيكا »[١]

قال صاحبى : بقى جانب غامض فى موقفك من هذه المخلوقات المتواضعة الصغيرة أرجو أن تجلوه لى : لم ترصد أجواء هذه الحشرات عادا عليها أنفاسها ؟ أتنطوى عوالمها على أسرار ومعجزات ؟ قلت : ولست بمحص لك أسرارها ، فهى وحدها بمزاجها ودقة تكوينها سر هذه الأسرار ، ثم فى تأملها اعتراف بقدرة خالقها ، ورياضة للنفوس الزارية بها ، ولعل الجاحظ أيضاً يريحك فيمنحك ثقة بها تباعد بينها وبين احتقارك لها ...

أوصيك أيها المستمع المصيخ ، ألا تحتقر شيئاً أبداً لصغر جثته . وإياك أن تسىء الظن بشىء من الحيوان لاضطراب الخلق ولتفاوت التركيب ، ولأنه مشنوء فى العين ...

... ولعلك يا صاحبى تصدق أن الذباب لم يكن فى أيام العبسى إلا ذباب الربيع الباكر البهيج ، لا تكتحل العين به إلا فى موسم وميعاد

أما فى أيامك ، فهو كل ما تلقاه حيث أنت : عا كفاً بالليل ، أو سارباً بالنهار

كان فى الزمن الأول يقتات نوافح الزهر ، حيث لا يضطرب المجتمع بغير نوازع الحب والكبرياء الدافعة إلى خواض الضاجع والدماء ، أسمعت العبسى ينشد :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

هذا ... كان مشغلة لفن الشعراء ، فى قمة الزمن الأول ... كبرياء الحب الصحيح مجلبة لاشتباك الأسنة والسيوف ، عمل النفوس فى النفوس صفاء ، ووفاء ، ودماء

أما فى «مستنقع» زمنك الأخير يا صاحبى ، فمشغلة الكاتبين لجاجة الذباب .. كما سماها أستاذك الجاحظ فقد أصابه منها شر متطاير وثاب ، ستأتيك قصته فى خاتمة الحديث

استقرت لجاجة هذا الذباب الذى أصبحت تعرفه منى ، على أوضاع توائم دواعى الأيام ، حيث يصطرع مجتمعه بأعاصير التعاطف الرخيص العاصف بالنفوس الذليلة ، والضمائر العليلة ، فأطعمه المجتمع شرائح الأعراض ، فامتصها غرداً كفعل الشارب المترنم ، ثم نفثها ، طاقة ومجهودا ؛ فاستشرت الأدواء فى الأصحاء

... قتل وتجريح وإيذاء ! ! ..

قال صاحبى : ألهذا آثرت العافية .. ونجوت ؟ قلت : ولمساخر أخرى يحجزنى عن التصريح بها أنك رجل وقذك الورع ، وأسقمتك التقوى ، وتلك التى لم تستطع أوربا أن تبتزها منك ! ! وحسبك أن شيئاً وأشياء — تزيد على ما أصاب أستاذك الجاحظ — نالنى من شر هذه المخلوقات ، فألفيتنى أعدو وأجد ؛ وقد سلبنى « الذباب » راحة البال واطمئنان الخاطر ، وقد يئست من استنقاذهما منه ، ضعف الطالب والمطلوب ! وظللت أعدو حتى انتهى الشوط

أأجد يا صاحبى ظِلا وأمنا فى هذا المكان ؟ حيث لا للشر على الخير سلطان ...

قال قل لى ما كان من أمر الجاحظ حين خرج يريد دير الربيع ، فتلقاه الأندلسى قائلا : مالك يا أبا عثمان ؟ هل من حادثة ؟

قلت ياصاحبى : هذه قصة تطول ... فافرغ لى من شغل غدك ، أكمل لك ما كان من شأن أبى عثمان ..

قال : وحينذاك أفتيك عن مصيرك فى هذا المكان . ؟

أحمد عبد المجيد الغزالى

(١) الحيوان . الجزء الثالث . ص ٣١٦ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

المصطلحات العلمية

والمجمع اللغوى

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

كنت مع الأستاذ العقاد فاختلفنا على لفظ « الوعى الباطن » أو « اللاشعور » والاصطلاح فى اللغة الإنجليزية unconsciousness وفى الفرنسية Jnconscience . قلت له ماذا تعنى بالوعى؟ قال الوعى من الوعاء ، فتكون النفس أشبه بالوعاء الذى يحتوى الأحوال النفسية phè omènnes psycho Logigues. ؛ قلت له هذا رأى من الآراء فى تعريف الشعور أو الوعى ، وهناك رأى آخر لا يجعل الشعور كالوعاء الذى يحتوى الأحوال النفسية ، ظاهرة كانت أم باطنة ، بل يجعل الشعور كالمرآة التى تنعكس عليها الأحوال النفسية ؛ فإذا كان الأمر كذلك فاستعمال لفظ اللاشعور أصح من استعمال الوعى الباطن .

واتفقنا على أن اصطلاح « العقل الباطن » الذى شاع استعماله فى مصر وقتا طويلا ، ليس اصطلاحا ملائما . فنحن إذن أمام ثلاثة مصطلحات : الوعى الباطن ، واللاشعور ، والعقل الباطن ؛ فأيها نأخذ ؟ وأيها صحيح ؟ ومن يستطيع الحكم على صحة هذه المصطلحات وملاءمتها لمقتضى العلم ، ومطابقتها لروح اللغة ؟

مهما يكن من شىء فنحن فى حاجة إلى اتفاق على المصطلحات العلمية فى شتى أنواع العلوم التى تقدمت تقدماً عظيما ، ونريد أن ننقلها إلى اللغة العربية . فنحن فى عصر النقل أو الترجمة . وأهمية الاتفاق على المصطلحات واضحة ، إذ يمتنع اللبس وتقل البلبلة والاضطراب ، ويستقيم الفهم عند المطلعين ، ويسهل عليهم معرفة المقصود إذا كانوا على علم باللغات الأجنبية التى نأخذ عنها .

هذا الخلاف يزيد أمره وتتسع شقته بما يجرى عليه علماء الأقطار الشقيقة من ترجمة تختلف عما يجرى عليه العماء فى مصر . ولو أن كل قطر من الأقطار العربية استقل بوضع المصطلحات العلمية ، لانتشر فى اللغة العربية بعد زمن وجيز عدة ألفاظ للمعنى الواحد ، فنبتعد بذلك عن روح الوحدة العربية أو الجامعة العربية التى نعمل على تحقيقها .

ونضرب لذلك مثلاً بما جاء فى كتاب « المنطق » للأستاذ جميل صليبا ، عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، وهو كتاب كبير فيه أبحاث جليلة ، ولا يقلل من قيمة الكتاب ما نأخذه عليه من نقد . وصاحب الكتاب يذكر الاصطلاح العربى وإلى جانبه معناه بالأفرنجية . وهذا مما يسهل للقارئ خصوصاً المطلع على اللغات الأجنبية معرفة المعنى المقصود .

فى ص ١٠ علم قاعدى Science normative ، وقد درجنا فى مصر على تسمية هذه العلوم بالعلوم المعيارية ، كالمنطق والأخلاق وعلم الجمال ، وهى تسمية مأخوذة عن العرب ، وللغزالى كتاب إسمه « معيار العلم » يقصد به المنطق .

فى ص ١١ ميتودولوجيا أو علم الأصول Méthodologie ، وفى ص ٥٥ جعل عنوان الكتاب الثانى « المنطق التطبيق أو علم الأصول » . والميتودولوجيا نسبة إلى « الميتود » أى المنهج ، ولهذا كانت التسمية التى اصطلحنا عليها وهى « مناهج البحث » أليق من « علم الأصول » خصوصا وأن المسلمين يطلقون علم الأصول على أصول الدين أو أصول الفقه ، وعندهم أن فلاناً عالم بالأصلين ، يريدون الفقه والدين .

وفى ص ١٥ ، « المعانى أو المفاهيم هى أبسط أجزاء التفكير المنطق ، لأنها العناصر الأولى التى تتركب منها الأحكام والأقيسة » . وهذه القضية عليها خلاف ، لأن الرأى الحديث بعد كانت الفيلسوف يجعل الأحكام هى أبسط أجزاء التفكير ، وفى ذلك يقول جملته المشهورة « التفكير هو الحكم Penser c'est juger» وليس مجالنا الآن تحقيق هذه المسألة .

وواضح أن المؤلف يجعل « المعنى » مرادفاً « للمفهوم » ولكل منهما دلالة معينة في المنطق . فالمفهوم في اصطلاح المناطقة مجموع الصفات التي يدل عليها اللفظ Compréhension ولكن الأستاذ جميل صليبا يضع اصطلاحين جديدين للمفهوم والماصدق هما التضمن — والشمول ، وكلاهما لا يصلحان للتعبير عن المفهوم والماصدق ، كما أننا في غير حاجة إلى ابتكار مصطلحات جديدة إذا كان العرب قد وضعوها واستقرت في الاستعمال .

وكذلك ما يسميه « معاني الحرمان Idées Privaties » . ص١٩، وفيها يقول « وهي تدل على الإيجاب والسلب معاً ، مثل معنى الأعمى فهو لا يقال إلا على الموجودات القادرة على الرؤية » والعرب يسمون هذه الألفاظ « العدم والملكة » فهي ألفاظ عدمية ، أي أن صاحبها كان يملك الصفة ثم عدمها ، مثل العمى فهو عدم البصر ، والصلع عدم الشعر .

ولا نريد أن نتعقب جميع ماورد في الكتاب من مصطلحات ومناقشتها ، لأن غرضنا التنبيه على الخلاف الشديد الذي يذهب إليه المؤلفون في تعريب الألفاظ الأجنبية ، وهذه فوضى مجحية لا تبشر بالخير في عالم الثقافة العربية .

***

وعلاج هذه الحالة ما رآه بعض المفكرين من إنشاء « المجمع اللغوي » الذي يضم قادة الفكر من علماء الأقطار العربية ، وبعض المستشرقين ، ومن أغراضه وضع المصطلحات العربية للألفاظ الأجنبية المستحدثة التي لم يضع لها العرب ألفاظاً .

وقد مضى على إنشاء المجمع زمن ليس بالقليل ، ومع ذلك لا يزال سلطانه ضئيلا ، وآية ذلك أن العلماء يمضون في سبيلهم يضعون ما يعجبهم من اصطلاحات ولا يعترفون بما يفعله المجمع ، فما السبب في ذلك ؟..

يرى الدكتور علي مصطفى مشرفه بك في كتابه « نحن والعلم » أنه ينبغي البدء بالنقل وتشجيع التأليف العلمي لإيجاد المصطلحات قال : « والتأليف العلمي هو الوسيلة الطبيعية لإيجاد هذه المصطلحات في لغتنا . فكل لغة حية إنما تنمو عن طريق التأليف والكتابة . واللغة العلمية وليدة التفكير العلمي ، والمصطلحات العلمية في اللغات الأوربية إنما نشأت بهذه الطريقة ، ونتجت عن نمو العلم والتأليف . ومن العبث أن يقوم مجمع بفرض المصطلحات على المؤلفين فرضاً ، وإنما تأتي مهمة المجامع بعد مهمة المؤلفين لا قبلها ، فالمجمع اللغوي يجمع ما ورد في الكتب العلمية من مصطلحات ويدونها ويفسرها . » ص ٢٤ ، ٢٥

فما رأي أعضاء المجمع في هذه الدعوى التي يريد بها صاحبها أن يغلق أبواب المجمع اللغوي ؟

ونحن نرى أن المجمع اللغوي بحالته الراهنة لا يستطيع أن يخدم اللغة العربية من جهة المصطلحات العلمية الحديثة ، لأنه في واد ، والمؤلفين والمترجمين في واد آخر . والواجب أن يتقرب المجمع من الجمهور ومن المشتغلين بشتى فروع العلم ، وأن يتصل المؤلفون والمترجمون بالمجمع . وسبيل ذلك ما يأتي :

١ — إصدار مجلة المجمع بصفة جدية ، على أن يكون إصدارها أسبوعياً في صفحات قليلة وتخصص للمصطلحات العلمية فقط ؛ وأن تتخذ الصفة التجارية ، من حيث الحجم والطباعة والإخراج والثمن والتوزيع ، ولا بأس أن يدفع أجر لكل من يراسلها من المؤلفين والمترجمين ، كما تفعل جميع المجلات . أما الاعتذار بصعوبة الحصول على الورق فأمر غير مفهوم .

٢ — تصنيف العلوم المختلفة ، وهذا أرى يسير بطبيعة الحال ، ثم تسجيل جميع المؤلفات العربية في كل علم أو فن ، وتسجيل أسماء المؤلفين أو المترجمين مع بيان عنوانهم لسهولة الاتصال بهم .

٣ — أن يخاطب المجمع العلماء والمؤلفين ، ويطلب منهم رأيهم دون أن ينتظر منهم أن يخاطبوه هم . فالمجمع في حاجة إلى العلماء قبل أن يكون العلماء في حاجة إلى المجمع . وبذلك يكون المجمع همزة الوصل بين العلماء في شتى الجهات والأقطار ، وسبيلا من سبل التقريب .

دكتور
أحمد فؤاد الأهواني



متحمسان ...!

كنا ذات صباح نحو عشرين رجلا قد وقفنا واحداً خلف واحد ننتظر فى قلق حتى تفتح نافذة تذاكر السفر؟ وأخذ يتزايد عددنا دقيقة بعد أخرى، وكان كل قادم يأخذ مكانه فى ذيل هذا الخط الطويل الذى ذكرنى بما كنا نفعل ونحن صغار حين كنا نقلد القطار ...

وكنا جميعاً لا نفتأ ننظر فى ساعاتنا وصفير القُطر وصوت رحيلها على الأفاريز القريبة يملأ أسماعنا ، وحركة المسافرين والحمالين وهم يسرعون فى موجب وفى غير موجب تزيدنا قلقاً على قلق ، ونشاط صارفى التذاكر فى النوافذ المفتوحة على جانبى نافذتنا الموصدة يلقى فى نفوسنا الشك فى وجود من يفتحها أو يميل بنا إلى الظن أنه ربما ربكه فى حجرته عمل آخر . وكان أكثرنا نظراً فى ساعاتهم من كانوا أكثر بعداً عن النافذة ؛ على أن القلق قد اشتد بنا جميعاً حتى أوشك أن يتحول إلى ضجر ... وأخيراً فتحت النافذة .

أقبل بائع التذاكر على عمله فى هدوء وتؤدة ، بعد أن ألقى نظرة على المنتظرين ، وكان مبعث اطمئنانه أنه كفيل ببيع التذاكر جميعاً قبل تحرك القطار بوقت كاف فهو خبير بعمله وقلما داخله ما يداخل المسافرين من قلق .

وأخذ كل منا يخطو خطوة كلما خلا من مقدمة الصف رجل ، وبينما نحن على هذا النظام الذى نفعله مقلدين نزلاءنا منذ كثر عددهم بيننا فى هذه الحرب ، إذ أخذت عيناى لا بل أخذ منظارى شاباً مقبلا بادى الأناقة ، متكلف العظمة ، يلتمع شعر رأسه الحاسر التماعاً لا يضاهيه إلا التماع رباط عنقه الأحمر ، وإنه ليخطو فى خيلاء تشبه الصلف ، يضرب الأرض بقدميه ضرباً قوياً حتى ليحدث حذاؤه صوتاً واضحاً فى ضوضاء الفناء ، وما أسرع ما فطنت إلى أنى منه تلقاء متحمس ، وإنى لشديد المحبة للمتحمسين عظيم الشغف برؤيتهم .

ومشى هذا المتحمس إلى النافذة فوضع نفسه فى رأس الصف وهيهات أن يرضى متحمس أن يكون فى المؤخرة ، ولكنه ما كاد يمد يده بالنقود حتى سرت فى الصف كله موجة احتجاج كانت أكثر شدة فى آخره ؛ وارتفع صوت من الوسط ينبه هذا المخالف :

— أرجو أن تأخذ دورك وإلا فما معنى أن كلاً منا قد ارتضى دوره؟

— هذا ليس من شأنك ... أأنت مفتش؟... أأنت مراقب ؟

— يا سيدى هذا لا يليق ... ارجع إلى موضعك من فضلك

— موش شغلك يا أفندى ... إشكنى إلى مدير المصلحة

وتحير هذا الذى يحتج ماذا يقول ، ولكنه ما لبث أن صاح قائلا فى غضب : « يظهر أنه مازال بيننا (جليطه) كثير » ونظرت فإذا بى منه تلقاء متحمس ثان فى نهاية سن الكهولة ، وأنا كما ذكرت لك أحب المتحمسين وأطرب أشد الطرب لرؤية تحمسهم

وجاء أجنبى فى تلك اللحظة فقصد إلى النافذة كما فعل المتحمس الأول ؛ ولعله قد رأى مزاحمته فظن الأمر فوضى، وما كاد ينبهه أحدنا حتى عاد إلى موضعه فى ذيل الصف معتذراً عن خطئه وفى وجهه حمرة شديدة من فرط الخجل .

وإذ ذاك نظر المتحمس الثانى إلى المتحمس الأول قائلا وهو يشير إلى ذلك الأجنبى : « ألا ترى ؟ هذا لأنه بنى آدم »

ولكن صاحبنا لم يتزحزح عن موضعه وكأنه يتمسك بمبدأ الثبات حتى الموت ، وإلا فما له لا يبالى بضجر المتضجرين فى الصف كله — إلا أنا بالضرورة — ولا يبالى بنظرات الإزدراء تصوب نحوه فى شدة كادت تجعل من فى الصف ما عداى متحمسين ؟

لم يعبأ على الرغم من ذلك وظل متمسكا بمبدئه القويم ومد يده بالنقود إلى بائع التذاكر فما أشد ما أخذه من حيرة إذ سمع ذلك البائع يقول له فى هدوء : « من فضلك اذهب إلى موضعك »

وثارت ثائرة هذا المتحمس ، فقال فى صوت أشبه بالصراخ وهو يضرب النافذة بقبضته «أتمتنع عن بيع التذكرة ؟» وتطلعت فى فرح أحسبنى أظفر برؤية متحمس ثالث ، ولكن البائع ظل هادئاً ونظر إليه مبتسما وهو يقول : « إشكنى إلى مدير المصلحة »

وتناول البائع النقود من كل مسافر حسب دوره فى الصف وظل صاحبنا فى موضعه قرب النافذة متمسكا بمبدأ الثبات حتى الموت يرشقه كل من أخذ تذكرته بنظرة ازدراء ، حتى جاء دور المتحمس الثانى وقد امتلأت نفسه إعجاباً ببائع التذاكر وعدالته ، فنظر نظرة نصفها إليه ونصفها إلى ذلك الذى لم تجده حماسته وقال متهللا: « والله مايصح أن يكون مدير المصلحة غيرك » ؛ ثم صوب نحو زميله الذى ماتت حماسته من الخزى نظرة شامتة وهرول إلى حيث يقف القطار .

الخفيف

ريح الشمال . . .

[مهداة إلى الوزير الشاعر دسوقي بك أباظة]

للأستاذ أحمد مخيمر

تنسمتُ أرواح الشمال هنيهةً   فهاج بيَ الشوقِ الدّفين هبوبها
بسمعى كمعسول الحديث حفيفها   رخىٌّ ، وفى قلبى شجىٌّ دبيبها
فتحتُ لها صدرى فأمّتْ خميلة   من الحب فيه صادحٌ عَندليبها
نأتْ راحةُ السّاقى فصوّح دوحها
وما غاض فى ظل الغصون قليبها(١)
وكانت كروْقِ الشمس فى ميعة الضحى
يرفُّ رفيفــاً زهرها وقضيبها
ويبرقُ من فرط النّضارة عشبها
ويهتزّ من فرط الحياة رطيبهـا
ففى لحظةً ريحَ الشمال ، فطالما   تمنّتكِ نفسٌ شرّدتها خطوبها
لعل شذًى منها لديكِ أشمّه   وهاتفةً مما تبثُّ أجيبها
وبينْ فؤادينا صحارى رحيبة
تُضِلُّ الخطى وديانها ولهوبها(٢)
يعوم عليها الآل حتى كأنه   ظنون بأرض النفس ناءٍ قريبها
بعثت عليها من أمانىّ طائراً   فآبَ مهيضاً ألهتته دروبهـا
وإن كثيراً أن أظل ببلدة   غريباً ولا يدنو لنفس حبيبها
إذا الليل وارانى شعرت بلوعة   يُشَبُّ بأحناء الضلوع لهيبها
وجاء إلىّ الحزن من كل جانب   وهمهمت الأشواق جمّاً سروبها
وبانَ لعينىّ الظلام كأنه   حفيرة موتى فاجأتها شعوبها(٣)
ورفّتْ بقلبى ذكريات من الهوى
تفوح كأزهار الرياض طيوبهـا

(١) القليب : البئر .
(٢) اللهوب : المهاوي بين الجبال .
(٣) شعوبها : المنية .

أرود بها لذات عهد قد انقضى   وأيام حب غاب عنها رقيبها
فما هو إلا أنْ طبتنى ظلالها
فــرحتُ عينى فاستهلّت غروبها
وكنت كذى غلٍّ(١) رأى الماء قلبه
ظنوناً ، وهل يُروَى بهن طلوبها !

***

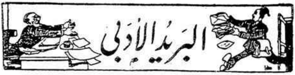
لكِ الله يا ريح الشمال ، وإنها   لساعة بثٍّ ثم يدنو مغيبهـا
تهيجين أشواقى ! وقد كنتِ قبلها
مزاميرَ غيبٍ ، فى الضلوع طروبها
وكنتُ إذا أعولتِ فى ظلمة الدجى
توزّعُنى أسرارها وغيوبهـا
أظلُّ كأنى قد فتحتِ لناظرى   سبيلاً إلى الآباد رحتُ أجوبها
فبالله يا ريحَ الشمال أشيّعتْ   إلينا تحياتٍ لديك نصيبها !
ألا مستِ خديها ، أجاذبتِ شعرها
ضفائر صــفراً ينفح العرف طيبها
كمثل خيوط الشمس ، والفرق وسطه
شعاعةُ قمــراء بهىٌّ سروبها
عجيب كصحراء الخيال مموّهٌ   بذوب نضارٍ قاعها وكثيبها
جميل كألوانِ على السحب ثرّةٍ
وقد حان من شمس النهار غروبهـا

***

شفت كبدى ريح الشمال وقد سرت
فيا ليت شعرى هل شفتها جنوبها
نأت دارنا عنها ، وشطّتْ بدارها
نوًى قذَفٌ قد أبعد السأو(٢) نيبها
وإنّى امرؤٌ أقصى مناه وهمه   بقيعان أدفو أوبةٌ فيئو بها !

(ادفو)   احمد مخيمر

(١) الغل : الغليل
(٢) السأو : الهمة .



حول المدرسة الرمزية

سيدى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد :

لست أريد من هذه الكلمة القصيرة التي شرفها أنها موجهة إليكم ، إلا أن أذكر لسيدى الأستاذ أن الجملة الأخيرة التي أنحى بها مقاله عن « المدرسة الرمزية » فى عدد سابق ، هى نفسها ماظللت أشعر به منذ سنين ، آن ملت إلى الرمزية أنصفها وأنقذها من أيدى من كفانا الأستاذ الكريم عناء وصفهم ولله الشكر ... فلقد لمست بيدى ضرورة الإيمان بأن « ميزان الصدق فى هذا المذهب أن يكون الرمز ضرورة لا اختيار فيها » ... وأن يكون الإيحاء « لتقريب المعنى البعيد لا لإبعاد المعنى القريب » ... أىْ وربى ... ولا أخفى على الأستاذ أنى ما شعرت بهذا إلا من كثرة ما أغوص فى نفسى الحزينة المتألمة ، حيث أقف على كل عاطفة ، دقيقة وغير دقيقة ، وكل معنى ، واضح أو مبهم ، فأذهل فى هذه المرحلة التي أسميها مرحلة العواطف ، وأشعر أنى فى جو جديد ، أنصت للهمسات المتشردة ، وأرنو إلى ألوان متتابعة ... حتى يأتينى هيجانُ النظم ، فلا أقنع بما دون الحالات كلها وأجرب وصفها وتصويرها ... فأضطر إلى أن أغالى ... فأغالى ... وما العمل ؟ وأصبحُ لا أريد من الرمزية إلا الوقوف على هذه الحالات الدقيقة ، مردداً فى كل مناسبة هذه الجملة التي كادت تكون تسبيحى : « إذا الرمزية لم تأخذ على عاتقها إجلاء غوامض النفس فحرىٌّ بها أن لا تكون ... »

غايتى إذاً فى الرمزية هو التعبير عن هذه الدقائق النفسية التى لاريب قد شعر بها القارئ كل أو بعض الشعور ، والتى يمكن على كل حال إحياؤها فيه ... ووسيلتى — وهى أيضاً غاية بعض الرمزيين المنصفين — ليست الغموض وحده ولا الوضوح وحده ولكن تعانق هذين اللونين اللذين نجدهما — كما يقول صديقنا الأستاذ بديع حقى — فى كل شىء ضمته هذه الحياة ، هذه الحياة التى هى نفسها تعانق وضوح وغموض ... نعم صديقنا بديع — وهو أكثر ما أراه ميالا إلى الغزل وإلى وصف الطبيعة فى شعره الرمزى — يريد أن تكون الرمزية صورة هذه الحياة ... وله الحق ... ولكن أنا ... لا أريد من الرمزية إلا التعبير عن هذه العواطف الدقيقة وتلك المعانى المبهمة بأسلوب يقتضيه الحال ، فنكون بذلك قد خدمنا الأدب الرمزى خاصة والأدب العربى عامة ... وأنا أقول هنا الأدب العربى لأن الأدب العربى لم يجهل قط فى عصر من عصوره الإسلامية هذا النوع من النظم ! ! واليوم ، يجب أن لا ننظر إلى الرمزية بعين الازدراء أو التعصب فنعدها خروجاً عن الأدب أو مفسدة للذوق الفطرى الأدبى أو غير ذلك : ولكن يجب التعقل فيها !. نعم ، نحن ورثنا عن القدامى رمزيات عديدة كتلك التى رمز إليها أستاذنا آنفاً أو تلك التى أسعدنى الحظ ففصلتها فى بحث يطول الآن اختصاره ، قدمته لمباراة أبى العلاء التى أقامتها مجلة (الأديب) الغراء فى السنة المنصرمة ... فكان والحمد لله من الفائزين : وقد تبين لنا فيه أن المعرى رمزى صوفى ، لم يدفعه إلى الرمزية إلا تصوفه ... وغير ذلك ... ولكن ياحضرة الأستاذ ألا ترانا بحاجة إلى تجديد هذه المفاهيم الصوفية الرمزية العربيــة ؟ إننا اليوم نرمز ونحن بعيدون عن التصوف بعد الأرض عن السماء ، أفلسنا بحاجة إذاً إلى رفع لواء الرمزية الحقيقية حيث يكون « الرمز فيها ضرورة » .

سيدى الأستاذ ، أنا قد آمنت بهذه الرسالة التى يجب أن أحمل مشعلها فى الأدب الحديث ، باثاً هذه المفاهيم الشاقة الشيقة التى وجدتُ أيضاً (جذورها) عند منصفى الرمزية الفرنسية : عنــــد (مالرمه) — وخاصة مالرمه هذا — و(فرلين) وقليلا عند (رمبو)..

وأنا اليوم أنظم على منوال مفاهيمى هذه التى رمزت إليها فوق ، والتى أحب ، بعد هذه الكلمات ، أن أسمع أستاذى بعض ألحانها ... فهل يتكرم الأستاذ فيبدى فيها رأيه ، بعد ما أتيحت لى هذه المناسبة السعيدة التى تجعلنى أومن كل الإيمان بأن (الرسالة) هى تاريخ هذا العصر الأدبى المضطرب ... وبعدما طمعت — والشباب كله طمع وأمل — فى جودكم المعهود الذى يجعلكم لا تضنون برأى على قريب ولا بعيد ...

فالقصيدة ، وعنوانها « بقايا حُلم » جربت فيها تصوير هذه الفترة الدقيقة التى تمر على كل إنسان فى ساعات أحلامه : فيندفع وراء الأوهام باسماً فرحاً ، بوعى وبغير وعى ... فتحمله ... وأوّاه ... لا تحمله إلا إلى خيبة ، إلى حزن، إلى قبور جامدة فيقف قائلا لنفسه :

بقايا حلم

لحشرجة الوهم ، يا نفس ، هل تبسمينْ ؟...
تموت الرؤى فى الضلوع ... ولا تشعرينْ !!.
وتهفو ، يُشَيِّعُها الفلُّ والياسمينْ :
لتسْكُبَ حُزْنى على زَغْردات الأنينْ !؟!.

وتبقين حَيْرَى ، وراء الهضاب الحزينْ !!.
فأسألُ عنك الخيالَ ... ألخيـــالَ الأمينْ :
إذا بالتهاويل تومى : « صَه ... بعضَ حينْ » !.

« • »

فأهمسُ للموت ... والبيـــدُ ليست تبينْ :
قبورٌ على أبحُرِ الوهم تبكى السنينْ ...
وترنو إلى الذكريات بعين الحنـــينْ ! ...
قبورٌ ... ولحن احتضار ... ودنيا ... ودينْ ...
وألقاكِ ، أنتِ ، تقولين للنـــادبينْ :
« بنفسى أشيع نفسى ! ... فهل من معينْ؟! » ...

« • »

لحشرجة الوهمِ ، يا نفس ، هل تبسمينْ ...

فهذه قصيدة قد تغنى عن كل ما لحصناه فوق والسلام عليكم وإلى اللقاء ...

دمشق **عدنان الذهبي**

غيرة فيلسوف

ليت الغيرة التى دفعت الدكتور شريف القسيح إلى نقد طريقة إقحامى النقد الأدبى فى فن القصة كانت غيرة على الأدب وحده دون سواه ، وبذلك كنت أحمد له غيرته ، وأقدر تجرده عن الغرض البادى من تضاعيف سطوره وتعابيره غير المحمودة .

إنى أتغاضى عما قال — سامحه الله — حباً بالنقد وحرصاً على الحرية — لأقول له إن ما بينى وبين زميل له من خصومة أدبية هى التى حفزتنى إلى إقحام النقد الأدبى فى فن القصة . فهل هذا الإقحام جائز أو غير جائز ، مقبول أم مكروه ، أو هو بدعة للتشفى كما توهم ؟

أعرف أن ميدان القصة رحب يسع ما فى الحياة بأكملها من صور وألوان ، وأعرف أن إقحام النقد الأدبى لا يكون إقحاماً على القصة بمعناه الصحيح إلا إذا عجز القاص عن إلحاقه بسياق الحديث ، وبمجراه الطبيعى ، وبجوّه المناسب ، ولم أندّ عن هذا السمت فيما أوردته فى قصتى « الأفعوان » المنشورة فى مجلة « المنتدى » .

أما زعمه أنى فعلت ذلك للتشفى من زميل له فهذا زعم باطل ، لأنى خاصمت بشر فارس الشاعر القاص وحاربته فى شعره وفى قصصه ، ولن أنفك عن منازلته فى كل ميدان ، ومحاربته بكل سلاح ، حتى أقتل التواءات فى نفسه يقرّنى عليها كل الأدباء ولن أعامله كما رغب إلىّ حضرة الدكتور — سامحه الله مرة ثانية — « كما يعمل الطبيب الجراح مبضعه فى الجسم العليل » لأنى أعتقد أن فى وسع هذا الزميل الانعتاق من هذه الرمزيات الشعرية والقصصية متى انجابت السحب الدكناء عن ذهنه غير المظلم ، وعندها يكون صحيحاً كأحسن الأصحاء . أفعل ذلك ؛ لاحباً به ولا كراهة ، ولكن غيرة منى على ناشئة قد يسممها هذا الضرب السمج من الرمزية الجوفاء ، الحامل لواءها النكس الدكتور بشر فارس .

حبيب الزحلاوى

حفلة المعهد الملكى للموسيقى العربية

أقام المعهد الملكى للموسيقى العربية يوم الإثنين الماضى حفلته السنوية لتوزيع الشهادات على الخريجين تحت رعاية الوزير الحصيف الدكتور عبد الرازق السنهورى بك الذى أناب عنه الأستاذ محمد بك فهيم ، وقد بحثت بإمعان عن مجهود الطلبة فى هذا المعهد فلم أجد له أثراً ينسينا أخطاءه الماضية وجوده الدائم بالرغم من وجود الدكتور شرف الدين سليمان والأستاذ عبد الحليم على فى المعهد وفى الوزارة وهما علمان بارزان فى سماء الفن ولولاهما لسقطت الحفلة سقوطاً مريعاً . وأعتقد مع الأسف الشديد أن النظم العتيقة فى هذا المعهد هى التى ظلمت جهود هذين البطلين وحالت بينهما وبين تنفيذ برامجهما الفنية فى عالم الأوبرا التى قدم منها الدكتور شرف أول محاولة بالنسبة إلى فهم المعهد . وقد أجمع المثقفون على صلاحيته لمثل هذا العمل لولا النظم البالية التى حالت بينه وبين تنفيذ برامجه فى عالم الموسيقى المسرحية التى لم يسمع بها المعهد بعد ! ونحب أن ننبّه القائمين بالأمر على صفحات هذه المجلة التى تخدم الفن والأدب بإخلاص إلى ضرورة الالتفات إلى وضع الموسيقى المسرحية والأوبرا فى برامج المعهد فى العام القادم حتى تتخلص من هذه الأوضاع الجامدة التى تركض بنا إلى الوراء ركضاً سريعاً ، وحتى نرى فى السنين القادمة أثراً واضحاً ينير الطريق للسالكين بعد هذا الليل الطويل .

عبد القادر محمود



الشـــوق العائد

ديوان جديد للشاعر الأستاذ علي محمود طه

آية الفنان الموهوب أنك فى دنياه لا تكاد ترجع ما يعرضه أمام ناظرك ، ويجريه فى حسك ، إلا إلى منابع روحه ، وفيوض مواهبه ، وحسب هذه المجموعة التى يقدمها الشاعر — على محمود طه — فى ديوانه الجديد الشوق العائد أنها تحمل هـذا الطابع الفنى الرائع فى معناها ومبناها ، فهى تتقـدم فى مبنى غاية فى الأناقة ، ومعنى من دنيا الشاعر الذى يهيم فى أجواء الحب ، ولا يكاد يثنيه عن الولع بهذا الجانب الإنسانى العاطفى ما يغلى به مرجل العالم من أحداث وأهوال . ولـكن متى كان فى استطاعة الإنسانية أن تتخلص من أسر العواطف ؟ والشوق العائد وحى الوجدان الصادق ، فليس فيه عاطفة مصطنعة ، ولا صورة غريبة ، ولا شعور متكلف ، ولا إحساس دخيل ، بل يغمرك بوقدة روحه ، ويشع عليك وهج قلبه فى صدق وأمانة ، ويرسم لك عواطفه وخوالجه بهذا الوضوح والهدوء ، فلا يحلق بك وراء السحاب ، ولا يقذفها هوجاء عاصفة ، ولا معقدة غامضة ، ولا أدرى ما إذا كان هذا من حسنات — محمود طه — فى نظر بعض الناقدين أم من مآخذه . ومن بين عرائس هذا الديوان قصيدة (الشوق العائد) التى يقول فيها :

إهدئى يا نوازع الشوق فى قلـ ... ـبى فلن تملكى لماض رجوعا
آه هيهات أن يعود ولو أفـ ... ـنيت عمـــرى تحرقاً وولوعا

ثم يعقب على هذا الزائر المعاود فيقول :

أيها الزائر المعـــاود ما أنـ ... ـتاك أحسنت بالمزار صنيعا
ما أرى فى سمات وجهك إلا ... شـــبحاً رائعاً وحلماً وجيعا
يتـــوقاه ناظراى كأنى ... فيه ألقى آلام عمرى جميعا

ثم ينتهى إلى هذه النغمة الحزينة :

عدت يا شوق! فيم عدت ؟ ربيع الـ ... ـعمر ولى! فهل تعيد الربيعا ؟ !

ولقد استطاعت المرأة أن تبسط سلطانها على أكثر ما فى هذا الديوان ، وأن تطلق فيه أشباحها ، وأن تستأثر منه بصفحات خالدات من أمثال: طاقة زهر — وامرأة وشيطان — وهى وهو — وثلج ونار — ونار ونار — والغرام الذبيح — وامرأة .

وهو يضم أيضاً عدة قصائد من بينها : الأيام — وإلى الطبيعة المصرية — وفاروس الثانى — وموكب الوداع . وكلها نماذج لهذا الشعر العاطفى الراقص ، والديوان من الشعر الحى الذى تعتز به دولة الشعر الحديث .

محمد عبد الحليم أبو زيد

البلاغة العصرية واللغة العربية

للأستاذ سلامه موسى

كتاب للأستاذ سلامه موسى يحمل طابعه المعروف ، أهداه إلى الأستاذ أحمد أمين لأنه هو الذى أوحى إليه بموضوعه من حيث لا يدرى (أحمد أمين بك يوم أن نشر مقالا فى الثقافة) يشير إلى أن الـكلمات تتغير معانيها بتغير الزمن والبيئة ...

والأستاذ سلامه يرى أننا نفكر بالـكلمات وكثيراً ما ننخدع فنظن أننا نعالج الأشياء فى حين أننا نعالج الأسماء ونرى أن الـكلمات تـكسبنا اتجاهاً أخلاقياً وتكون لنا مزاجا فنيا وأحياناً تحمل إلينا رواسب ثقافية قديمة كثيراً ما تضرنا فى مجتمعنا ، وهو من أجل هذا عالج فى كتابه البيئة واللغة ، واللغة والتطور البشرى ، واللغة والمجتمع ، والأحافير اللغوية . وتعرض إلى ضرر اللغة (هكذا فى الـكتاب)

وقارن بين الكلمة الموضوعية والكلمة الذاتيـة وتحدث عن المجتمع العربى القديم .

وعقد فصلاً حول (الـكلاسية داء الأدب العربى) ... الخ وليس فى الـكتاب بحث يتصل بالبلاغة بمعناها الاصطلاحى إلا كلمة (فن البلاغة)

والـكتاب بحوث حول اللغة كأداة للتعبير وحول تبسيطها وإخضاعها للحياة المعاصرة .

ومع أن الـكتاب فى جملته بحوث تثير التأمل إلا أن الـكتاب لم يأت بجديد يحل مشكلة اللغة من ناحية البلاغة ؛ لأن نهاية إجهاد قلمه كانت تتلخص فى (أن تكون البلاغة بلاغة المنطق والمعرفة بدلا من بلاغة الانفعال والعقيدة ، كما يجب أن نتوقى المرادفات والـكلمات الملتبسة وأن نميز بين الـكلمة الذاتية والـكلمة الموضوعية .

ثم يدعو الأستاذ إلى أن يتأنق (التلميذ) فى تعبيره ولـكن تأنق الذكاء وليس تأنق البهرجة البديعية ...

وهذه الأماني تحققها كتب البلاغة حتى الكتب القديمة .

والأستاذ يعرف أن بلاغة المقيدة هي أشد أنواع (البلاغات) وأن المترادفات متى استدعتها دواعي البلاغة كانت ألزم في تظليل المعنى وإيضاح الفكرة ، والفن العاري المجرد لايهز النفس ولايمتع الروح ، والأستاذ (سلامه) في حاجة إلى أن يراجع آراءه القاسية التي تريد للغة أن تكون من وحي (التلغراف)

وعليه أن يعرف أن فن البلاغة خضع للتطور ، وأن أدباء العرب لم يقدسوا شيئاً كما ظن فقد بهرجوا الزائف بدقة أذواقهم وقوانينهم التي أجدت على النقد وأسعفت الفن الرفيع .

وأما تعرض الأستاذ سلامه لمنهج العقاد وسلوكه في تأليفه على نهج سلفي وإضافة كثرة الأدباء إلى هذا فندع ذلك وبيان إيضاحه للقراء ، ندع أمره والدفاع عنه للأستاذ العقاد . ونحن نعتز بالفصحى ونعتز بمن يعتز بها ، ولست أدري ... لم يضيق الأستاذ سلامه موسى بأحافير اللغة ما دمنا نستطيع الانتفاع بها وما دامت فيها روح الإعجاز والخلود .

واللغات جميعها تنتفع بماضيها وتحيي من نفائسها ما يربط مستقبلها وحاضرها بالتليد النافع

وإذا فاتك التفات إلى الماضي فقد غاب عنك وجه التأسي

كامل محمد عجلان

الأطياف الأربعة

للأساتذة أمينة وحميدة ومحمد وسيد قطب

أخرجت لجنة النشر للجامعيين أخيراً كتاب « الأطياف الأربعة » للاخوة الأربعة الأساتذة حميدة وأمينة ومحمد وسيدقطب .

« كتاب كتبه إخوة في الدم ، إخوة في الشعور ، كلهم أصدقاء ، يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف ، هم أنفسهم كل ما يملكون في الكون العريض . إنهم أبداً يحلمون وقد يتفزعون في الحلم ولكنهم إليه يعودون . أودعوا خطراتهم صفحات هذا الكتاب ، فاحتوى عصارة من نفوسهم وظلالاً من حياتهم »

يصف الأدباء الأربعة صوراً خبروها في حياتهم ، وحوادث مرت بهم ، بعضها يبعث على الأسى ، وبعضها يكتنفه الأمل ، وبعضها يستدر العطف . لوحات فنية رسمها كل منهم بريشته الخاصة وتفكيره الخاص فأخرجوا منها مجموعة يصح أن تزين معرضاً . لقد كشف ذلك الكتاب عن أسرة تعيش في دنيا الأدب ، يرتفع أفرادها مرة إلى أفق الخيال البعيد ، ثم يهبطون إلى دنيا الحقائق الملموسة ، ومايلبثون حتى يحلقوا في عالم الأطياف والرؤى

أهدى المؤلفون كتابهم إلى « أماه » التي عاشوا وهي معهم غرباء في القاهرة ، فلما مضت عنهم تفرقوا في الكون العريض كنباتات ضالة ليس لها جذور ، وأطياف هائمة ليس لها قرار .

ولقد اتصف الصديق الكريم الأستاذ سيد قطب بالوفاء وتسربل بالإخلاص . وتلك الصفة وذلك اللباس يتجليان رائعين فيما كتب من فصول عن « أماه » تلك الملهمة التي لا يفتأ الأستاذ قطب يردد ذكراها ويحس بالوحشة إليها . وما أجمل اللوحة التي أبدعها قلمه حين قال مخاطباً إياها « فنى ... فنى نصمد لعجلة الزمن العاتية كي لا تدور فتسحق كل عزيز وتدفن الماضي الذي نعيش على هداه . ظللي ياأماه حياتنا بجناحيك الرفيقين ، ولا تحسري هذا الظل عن مواقعه التي تفيأناها . عيشي معنا يا أماه في هواجسنا وأفكارنا ، ولا تبالي أن يلذعنا ألم الذكرى كل لحظة ، فهو ألم رفيع عزيز ، يغذي من نفوسنا ما كان يغذيه عطفك ، ويملأ من وجداننا ما كانت تملؤه رعايتك . جنبينا الفراغ القاتل ، والسلوى الرخيصة ... يا أماه » .

والحق أن كتاب « الأطياف الأربعة » ممتع يلتذ القارئ قراءته حتى ليكاد يستعيد بعض فصوله مرات ومرات ؛ فإن الصور الخاطفة التي ساقها مؤلفوه ، والمشاعر السامية التي أودعوها صفحاته ، والتحليلات النفسية البارعة التي عرضوها فيه ، دلت على قدرة مشاعة بين إخوة أربعة ، وفطنة مشتركة بينهم ، ولباقة أدبية يتميزون بها ويتحلون .

غير أنني أريد أن أهمس في آذان الكتاب الأفاضل ، ولا أظنني متحاملا عليهم ، إن مصنفهم اتشح بالسواد واكتنفته مسحة قاتمة من الحزن تكاد تبلغ مرتبة التشاؤم . حتى الغلاف لم يسلم من ذلك الخمار الأسود القاتم يجلل صدره . أما كان يجدر بهم أن يضيفوا إلى « الأطياف الأربعة » طيفاً خامساً مرحاً أو باسماً ؟ أما كان من الأفضل أن يكون الكتاب معرضاً لصنوف المشاعر ، بين فرح وحزن ، وابتسام وعبوس ، وجمال ودمامة ؟

والكتاب فيما عدا ذلك قطعة أدبية فنية رائعة ، تحس حين تقرأه اتساقاً وانسجاماً بين فصوله المختلفة تفصح عن مكنونات قلوب كاتبيه السمحة ، وميولهم الأدبية الرفيعة .

وديع فلسطين
بكالوريوس صحافة